

كتاب يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة



التربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

نشأتها وتطورها

د. حامد سالم عايض الحربي
أستاذ مشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة
كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

السنة السابعة عشرة
العدد ١٨٦ عام ١٤١٩هـ



فهرس المحتويات

الموضوع | **الصفحة**

الفصل الثاني

الفصل الثالث

قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران]

وقال رسول الله ﷺ :

« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما العلم بالتَّعلُّم »

رواه البخاري، ط١، ٢٥



المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)** ﴾ [**النساء**]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)** ﴾ [**الأحزاب**].(*)

لقد اختار الله سبحانه وتعالى أفضل خلقه سيدنا محمد ﷺ ليكون رسولاً إلى خلقه كافة؛ فأوحى تعالى إليه، وقد بلغ الرسول ما أوحي إليه من ربه، ومع التبليغ كان يعمل على إعداد الأفراد الذين استجابوا له إعداداً عقدياً وجسمياً ونفسياً من الجوانب الشخصية جميعها، واستمر هذا الإعداد –بفضل الله وتوفيقه –حتى تكوّن خلاله أفراد، هم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، فكانت بهم انطلاقة التربية الإسلامية دعوة إلى الله تعالى حتى استتب لها الأمر، وحصل

(*) بهذه الكلمات المباركة التي افتتح بها دراستي كان الرسول ﷺ يفتتح كلامه بها في الموضوع، وقد سمى العلماء هذه الخطبة خطبة الحاجة. أي الغرض الذي من أجله يتكلم ويخطب ويكتب وبالله التوفيق.

لهـا التـمكين، ولمن آمن بهـا، هؤلاء الأفـراد هم الصـحـابة رضي الله عنهم. وقدوة المسلمين الرسولﷺ وصحبه رضي الله عنهم ومن هنا كـان لزاماً معرفة تلك القدوة لكل مسلم والتمسك بتربيتهم، وهي التربية الإسلامية، ولأهمية هذه التربية نبعت فكرة هذه الدراسة، لأنها تتلمس ملامح التربية الإسلامية في عهد الرسولﷺ منذ نشأتها وتطورها، وتكوينها وتمكينها، ولكن للأسف نجد اليوم أن بعض من ينتسبون إلى الإسلام أصابهم التخلف، والانحطاط والكسل، ووجود هوة واسعة بين ماتدعو إليه التربية الإسلامية في صدر الإسلام وسلوك الفرد في العالم الإسلامي، على الرغم من معرفة أهمية هذه التربية واهتمام القادة والمسؤولين والمربين بها.

هذا الفارق الذي يحس به الباحث دفعه إلى القيام بهذه الدراسة، محدداً هدفه في العمل على إزالة الحواجز بين الفرد المسلم والتربية في عهد الرسولﷺ في نشأتها وتطورها(*)، ومدى مُعايشتها لحياة الواقع ومابعد الواقع من مستقبل، الله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إنه سميع مجيب ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف]. ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [**هود**: ٨٨]

(*) التطور لا يعني التطور في ثوابت التربية الإسلامية، ولكن يقصد به التطور في أساليب الدعوة إلى هذه التربية الصحيحة بما يتناسب مع المكان والزمان والأفراد.

الفصل الاول
التربية الإسلامية في العهد المكي

- البيئة التربوية الاجتماعية في العهد المكي.
- الاصول التربوية الإسلامية في العهد المكي.
- التكوين التربوي للطليعة الأولى من المسلمين.
- دور المرأة المسلمة في العهد المكي.
- نشر التربية الإسلامية خارج مكة المكرمة في العهد المكي.
- ميادين التربية الإسلامية في العهد المكي.
- خصائص التربية الإسلامية في العهد المكي.

البيئة التربوية الاجتماعية
في العهد المكي

البيئة الاجتماعية عند مبعث الرسولﷺ بيئة وثنية، قاسية التضاريس، عبادة الأوثان سائدة، فهي بصورة عامة غير دينية، أوجد أهلها نتيجة الفراغ الدينى أصناماً، وأوجدوا هذه الأصنام لعدة أهداف منها : إنها لتقربهم إلى الله تعالى، وإلى قوة يدركونها أقوى من هذه الأصنام ولكن ليس لديهم معرفة كاملة عن هذا الإله حتى أنهم جعلوا البنات لهذه القوة والذكور لهم وهم يدركون أن هذه القسمة غير عادلة قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٣] (١) .

ومن الآيات السابقة ندرك أن هؤلاء ساكني مكة المكرمة عند مبعث الرسولﷺ كانت تربيتهم الدينية على غير أساس وأنهم يدركون العدل والقسمة العادلة ولكن تؤثر في عدالتهم الاجتماعية الأهواء وهذا نتيجة لضعف التربية في هذا الجانب.

ومن الناحية الاجتماعية ندرك أن لدى هؤلاء الأعراب التفاخر بالأنساب وقوة العصبية والتباهي بالمال والاعتزاز بكثرة الولد قال

---

(١) سورة النجم: مكية ونزلت بعد سورة الإخلاص وترتيب نزولها(٢٢) . البرهان للزركشي، جـ١،ص١٩٣ .

تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) ﴾ [المدثر] [١] .

ويمكن استنتاج أن التماسك الاجتماعى كافة كان مفقوداً وإنما هناك أفراد وأسر كل يفتخر بما لديهم من كثرة المال والولد وهذا يعود أيضاً إلى ضعف التربية آنذاك التي تجعل من هؤلاء الأفراد قوة متماسكة تربطها غاية واحدة.

فكأنّ البيئة الاجتماعية قبل مبعث الرسولﷺ انقاض من الجاهلية وثنية دفنت تحتها تعاليم الأنبياء والمرسلين، حتى ساد الجهل في التربية فتراكم عبر العصور. [٢]

ولكن من وجهة نظري أرى أن في هذه البيئة على الرغم من تراكم الجهل فيها جواهر من الأنفس الزكية ذات الهمة الْعَلِيَّة، فالتبر تبر وإن وقع في الثرى لذا اختار الله منهم أصحاب خير خلقه، فهم محتاجون إلى خبير ومرب يضع لهم منهجاً ، ومعلم ينفذُ المنهج على نفسه أولاً ثم على غيره لتخريج معلمين ينفذون هذا المنهج على أنفسهم وعلى غيرهم.

فكان المربي الخبير هو الله تعالى قال عز وجل : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك] [٣] والمعلم هو سيدنا محمد ﷺ والذي استخرج من تلك البيئة الاجتماعية معلمين علماء رواداً وخبراء في

---

(١) سورة المدثر : مكية ونزلت بعد سورة المزمل وترتيب نزولها(٤) البرهان للزركشي، جـ١،ص١٩٣ .
«ونقصد بترتيب نزولها في الوحي على رسول الله ﷺ وليس رقمها في المصحف الشريف»

(٢) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، جدة : دار الشروق، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص٥٠ .

(٣) سورة الملك: مكية نزلت بعد سورة الطور وترتيب نزولها (٧٧) وقيل (٧٨). البرهان للزركشي،جـ١، ص١٩٣ .

التربية تبقى آثارهم التربوية حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أما من الناحية الاقتصادية فسكان مكة المكرمة يميلون للتجارة لأن أرضهم غير زراعية وقد أخبر سيدنا إبراهيم أنه أسكن من ذريته بواد غير ذي زرع كما جاء في القرآن الكريم. ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾ [**إبراهيم**: ٣٧][(١)]

وهذا خلاف لأرض الشام لأن سيدنا إبراهيم رأى أرض الشام وأرض الحجاز وقارن بينهما من حيث الزراعة، والمشاهدة؛ والمقارنة من الجوانب التربوية الهامة تؤدي إلى ترسيخ الفكرة والمعلومة.

ولكن سكان مكة المكرمة اتجهوا إلى التجارة كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ **لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)** ﴾ [**قريش**][(٢)].

ومن السورة السابقة ندرك أن سكان مكة المكرمة على اتصال بالجهات التي حولهم: بالشمال في رحلة الصيف وبالجنوب في رحلة الشتاء ومن هذه التجارة أثرى كثير من قريش كأبي سفيان والوليد بن المغيرة وقد مرت معنا آيات من سورة المدثر تدل على أن الله جعل لبعضهم مالاً كثيراً ومن هنا نجد أن أهل مكة المكرمة تربوا تربية تميل إلى الانفتاح إلى الخارج والاستفادة منه علمياً واقتصادياً وسياسياً، ولهذا فهم ليسوا بسطاء؛ بل هم أقوياء من الجوانب جميعها، وقد

(١) سورة إبراهيم، :مكية نزلت بعد سورة نوح وترتيب نزولها(٧٣) البرهان للزركشي، جـ١، ص١٩٣.
(٢) سورة قريش كلها وهي مكية نزلت بعد سورة التين وترتيب نزولها (٣٠)، المرجع السابق، ١٩٣.

ذكرت كتب التاريخ أن عبدالله بن جدعان استطاع في حرب الفجار أن يمد من سكان مكة المكرمة مائة رجل بالسلاح.[1]

ولهذ نستنتج أيضاً أن سكان مكة المكرمة قبل مبعث الرسول ﷺ ليسوا بسطاء، بل هم أذكياء، ولكنهم يحتاجون لمن يستغل هذا الذكاء في صالح الإنسانية وبتربية حكيمة، وقد تم ذلك بفضل الله وإرسال رسوله إليهم وهو منهم ولعل من البديهي المعروف أن أشير هنا إلى أهمية الوراثة في أصول هؤلاء القوم ولاسيما الرسول عليه الصلاة والسلام وبعض أصحابه فهم من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكما مر سابقاً أنه أسكن من ذريته عند بيت الله الحرام. ونسب الرسول ﷺ كما هو ثابت من إبراهيم عليه السلام وكما هو معروف أن إبراهيم عليه السلام من أهل الشام وهم أيضاً أي الرسول وبعض أصحابه من نسل هاجر أم إسماعيل عليها السلام وهي من أهل مصر ثم اختلط الدم الشامي والمصري باليمني من قبيلة جرهم القادمة من اليمن من أولاد قحطان التي سكنت مكة المكرمة وكانت تتكلم العربية وقد صاهرهم إسماعيل عليه السلام ونشأ معهم وتعلم العربية وانجب اثني عشر ولداً تفرعت منهم بطون كثيرة وكثروا حتى صارت لهم رئاسة الحرم[2].

وتدعو التربية الإسلامية إلى الاهتمام بالوراثة لكي تخرّج جيلاً قوياً يستحق الخلافة في الأرض، ومما يدل على اهتمام التربية بمراعاة

---

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ١، ط٧، القاهرة: لم يُذكر الناشر، ١٩٦٤م، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق جـ١ ص١٢,١١.

الاستعداد والوراثة، ما رواه ابن ماجة حيث قال: حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا الحارث بن عمران الجعفري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «**تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وانكحوا إليهم**»[1].

وقد ذكر ابن هشام أن قصي وهو من أجداد الرسول ﷺ كان يصلح بين الناس ويجمع القبائل أورد شعراً يدل على ذلك:

قصي لعمري كان يدعى مجمعاً   به جمع الله القبائل من فهر[2]

وظهر دين الإسلام في تلك البيئة السابقة، فشد الأبصار والعقول، فعرف العقلاء أن القرآن ليس من كلام البشر فهم فصحاء ولكن منهم من كان خائفاً على ماله، والبعض خائف على جاهه، وزعامته والبعض متأن في اتخاذ قراره، وكل هذه الأمور جعلت أهل مكة المكرمة يقاتلون مقاتلة عنيفة، ويتصدون لرسول الله ﷺ، ويحرضون الناس عليه، ومقابل هذا كان رسول الله ﷺ يدرك أن الله سينصره، ولكنه يطمع من ربه عز وجل أن يهدى قومه، ولكن الله يهدي من يشاء، وظلت الحال سنوات، وكانت معارضة من لم يسلم عنيفة، وقوة إيمان من أسلم عظيمة، فطبيعة القوم تتصف بالصراحة، والجرأة، وعزة النفس، والتحقق من الأمر، ولايقبلون فكرة إلا عن قناعة، وهذه صفات العظماء من الناس، وليس البسطاء، ومع ماسبق فهم غلاظ

(١) محمد بن يزيد القزويني بن ماجة،سنن ابن ماجة، جـ١، بيروت: المكتبة العلمية، (د.ت)، ص٦٣٣، رقم الحديث ١٩٦٨.

(٢) ابن هشام سيرة النبي ﷺ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، جـ١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص١٣٧.

الأكباد، جفاة، أقوياء الأجسام أقوياء الإرادة، بدليل أنه من كفر كان شديد الكفر، ومنهم من هلك بكفره عن بينة من الله، ومنهم من أسلم وحسن إسلامه بعد ما كان شديد الكفر، ومنهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضى الله عنهم، ومعركة أحد وغيرها تشهد لهم بذلك .

ومن أسلم من هؤلاء القوم فقد حسن إسلامه، لأنه أسلم عن بينة، وبتوفيق الله له، وخُص بالصحبة وللصحابة بأسرهم خصيصة وهي : أنهم لايسأل عن عدالة أحد منهم، بل وذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الاطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة واجماع من يعتد به في الاجماع من الأمة الإسلامية والمعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ ومات على الإسلام فهو من الصحابة[1] .

وهذا تكريمُ لخير البشر، وخير معلم، نفذ المنهج الإلهي، وخرَّج معلمين هم خير البشر من بعده ﷺ، وعن ابن سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «**لاتسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولانصيفه**»[2] .

ونستنتج أن من مبادئ التربية الإسلامية عدم شتم الناس وسبهم وعدم التحدث فيهم بدون تثبت من القول وإسناد صحيح . وقد أثنى

---

(١) الحافظ عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح المتوفي سنة ٦٤٢هـ، مقدمة ابن الصلاح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ص١٤٦-١٤٧ .

(٢) أ – احمد بن حنبل، المسند، جـ٣، بيروت : المكتب الإسلامي(د.ت) ص١١ .
ب – احمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله محمد عباس، جـ١، ص٥١ وقال المحقق أسناده صحيح .

تعالى على صحابة رسول الله ﷺ في الكثير من الآيات. قال تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾[**الفتح**: ٢٩]، وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة على العدو ويدل ذلك على مدى عزتهم وقوة نفوسهم ووصفهم بالرحمة، والتربية تحتاج إلى الشدة في موضعها الصحيح، والرحمة في موضعها الصحيح؛ أي موضعها المناسب أو مايسمى بالثواب والعقاب أو التعزيز السلبي عندما يحدث من المتعلم سلوك غير مرغوب فيه والتعزيز الإيجابي عندما يحدث السلوك المرغوب فيه.

موقف التربية الإسلامية من البشر جميعهم:

التربية الإسلامية تنظر إلى جميع الناس على وجه الأرض بدون استثناء أنهم أمة دعوة فهي تدعوهم إلى الخير وهو الإسلام من أجل سعادتهم ودخولهم جنة ربهم وتدل على ذلك الكثير من الآيات ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [**الحجرات**].

والنداء في هذه الآية وأمثالها لجميع الناس كافة فهم أمة دعوة، وهؤلاء الناس أمة الدعوة انقسموا إلى قسمين: قسم إيجابي الإجابة واستحق الرحمة من الله ومن عباده وخاطبهم الله تعالى في الكثير من الآيات بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...** ﴾ [**الحجرات**: ١١]، وقد تكررت بهذه الصيغةخمس مرات في سورة واحدة وهي سورة الحجرات في خمس

آيات من مجموع آياتها البالغ ثمانية عشرة آية وكلها تعاليم من التربية الإسلامية لأمة الإجابة، وهم المؤمنون.

وقسم سلبي الإجابة واستحق الشدة من الله ومن عباده أمة الاستجابة وخاطبهم الله تعالى في الكثير من الآيات بقوله « **الْكَافِرِينَ** »

ومرادفاتها قال تعالى ﴿ **وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ [**إبراهيم: ٢**] وكلها تعاليم من التربية الإسلامية لأمة الرفض للدعوة الإسلامية وهم الكفار وعسى أن يسلموا لينضموا مع أمة الاستجابة ولكن هذه التعاليم التى تخص الكفار مسؤول عن توصيلها إليهم أمة الاستجابة وقد فعل الرسول ﷺ ذلك.

علماً بأن الله سبحانه وتعالى يرزق جميع الخلق ومنهم من كفر عسى أن يؤمنوا من أجل سعادتهم ومما يدل على ذلك مما جاء في القرآن الكريم ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)** ﴾ [**البقرة**].

ومن الآية السابقة نجد سيدنا إبراهيم دعا لأمة الاستجابة وهم المؤمنون فقط، ولكن الله الرحمن الرحيم يرزق أمة الكفر أيضاً عسى أن يسلموا من أجل سعادتهم وإن لم يسلموا فإن متاع الدنيا قليل، وذلك بنسبة عمر الإنسان فيها بخلاف الآخرة لاستمرار الحياة بها.

أخذ الرسول ﷺ بأسلوبه التربوي يدعو الناس كلهم « أمة الدعوة » في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة أسلم من أسلم « أمة الاستجابة المؤمنون » وكفر من كفر « أمة الرفض الكافرون » وكانت دعوة بدون حرب ولاقتال .

وكان للبيئة الاجتماعية المحيطة برسول الله ﷺ أثر كبير في التربية الإسلامية ومدى القيام بها وذلك ما يوضحه الآتي:

أثر البيئة الاجتماعية على الدعوة الإسلامية في العهد المكي

كان الرسول ﷺ محفوظاً من الله من قبل ولادته وبعدها وذلك لإعداده لتبليغ الدعوة وتنفيذ منهج الله تعالى المنهج الذي تقوم عليه التربية الإسلامية، القرآن الكريم، وذلك بقوله وعمله وفعله وإقراره.

وكان عليه الصلاة والسلام يتيم الأب والأم ولكن الله هو الذي تولى تربيته وإعداده ليصل عن طريقه ﷺ خبر السماء إلى الأرض تأمل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦)** ﴾ [**الإنسان**] فالأمر ليس بسيطا فالآية الأولى تشير إلى اتصال القوة الإلهية بهذا الرسول ﷺ فهو بشر ولكنه ليس كسائر البشر عليه أفضل الصلاة والسلام لأنه يُوحى إليه، ومما ذكر الطبري أن النبي ﷺ كان «إذا أوحي إليه وهو على ناقته فإنها لاتستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه»(١)

فالناقه لاتحتمل قوة نزول الوحي وماذا تساوي قوة الإنسان إذا قارنتها بقوة الإبل (سفن الصحراء) ولكن ذاك رسول الله ﷺ، قد أعده الله لتبليغ الدعوة الإسلامية فلما بلغ الأربعين من عمره ﷺ وأُوحي إليه بأن يقرأ باسم ربه متجرداً عما سواه في إبلاغ هذه التربية

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، جـ٢٩، بيروت: دار المعرفة (د.ت)، ص٨٠.

الإسلامية الشاملة المتضمنة لجوانب الحياة كلها مع الله سبحانه وتعالى وقد أمر بتبليغ هذه التربية إلى قومه ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [**المائدة**: ٦٧] فكانت مرحلة التبليغ أشبه بتهيئة الأرض لبذر البذور الطيبة أو تسوية الأرض للبناء الشامخ وهذا يعني لابد من البذور الطيبة وتعهدها وبناء البناء الشامخ والاستفادة منه ولهذا كانت ترافق مرحلة التبليغ مرحلة التكوين(١).

ووجد الرسول في هذه المرحلة أصناف العناد والأذى ممن يدعوهم في تلك البيئة الاجتماعية التي قد تحدثنا عنها.

وذكر الرازي – رحمه الله – أن هناك اجماعاً على أن المدثر هو رسول الله ﷺ وهو الذي يتدثر بثيابه لكي ينام وذكر أيضاً أن النبي ﷺ كان نائماً متدثراً بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وأيقظه، وقال ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)** ﴾ [**المدثر**] وكأنه قال له اترك التدثر بالثياب والنوم واشتغل في المهمة والمنصب الذي نصبك الله به لإخراج الناس من النار إلى الجنة رحمة بهم من الخالق رب العالمين(٢).

فكانت مسؤولية الرسول ﷺ عظيمة فهو يطبق ما أنزل إليه من ربه ثم يجد ويجتهد ويدعو الناس إلى ذلك ويعمل على تكوين معلمين يساعدونه فيما بعد لنشر مايدعو إليه.

ومن هذا المبدأ نرى أن المربي المسلم عليه أن يعمل هو بنفسه ثم يدعو غيره ولايقف عند هذا الحد بل يكوّن أفراداً صالحين يقومون

---

(١) علي جريشة، دعوة الله بين التكوين والتمكين القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ص٧٧.

(٢) محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ط٣،ط٢،طهران: دار الكتب العلمية (د.ت)، ص١٩٠.

بنشر التربية الإسلامية وأن يجعل ذلك من أجل خالقه فهو أكبر من كل شئ «فالله أكبر» كما يلزم المربي النظافة وحسن المظهر قال تعالى مخاطباً المعلم الأول رسول الله ﷺ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ⁽٤⁾﴾ [**المدثر**] وهذا عام لكل من اتبع هذا الرسول ﷺ فالأمر للرسول عليه الصلاة والسلام أمرٌ لأمته.

والطهارة هنا تشمل طهارة الظاهر وطهارة الباطن وإن شاء الله سوف نوضح دور التربية الإسلامية قي ذلك فيما بعد.

وكانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج الرسول ﷺ من اعقل النساء فقد بادرت بالإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وأخذت تؤازر النبي ﷺ وتثبته فكان يلقى الرسول ﷺ من قومه الخلاف والأذى والتكذيب فخفف الله عنه من آلام ما يلقاه بأن رزقه زوجة صالحة هي السيدة خديجة رضي الله عنها حيث إذا رجع إليها تثبته على دعوته وتخفف عليه وتصدقه وتعمل على راحته وتهون عليه أمر الناس حتى قال عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لاصخب فيه ولانصب**»[١]

وقال ابن هشام وحدثني من أثق به أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فقال «أَقرِئْ خديجة السلام من ربها، فقال رسول الله ﷺ يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك فقالت خديجة رضي الله عنها الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام»[٢].

(١) ابن هشام، سيرة ابن هشام، مرجع سابق، جـ١، ص٢٥٩، وأخرجه البخاري مع فتح الباري جـ٣، ص٦١٥، رقم الحديث ١٧٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٩، وأخرجه البخاري بمعناه مع فتح الباري، جـ٧، ص١٣٣-١٣٤، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها.

ونستنتج من حسن معاملة السيدة خديجة رضي الله عنها للرسول ﷺ وفي بداية الدعوة الإسلامية بالذات أن الله سبحانه وتعالى الخالق المسخر من بيده الملك والأمر كله أكرم هذه السيدة الفاضلة فقد أمر رسول الله ﷺ أن يبشرها بقصر في الجنة وأي قصر لامثيل له في الدنيا لا من الناحية المادية فهو مبني من القصب، وقال ابن هاشم القصب هو (اللؤلؤ المجوف). ولا مثيل له من الناحية النفسية والمعنوية حيث لا حزن فيه ولا صخب، ومع هذا الفضل كله، فإن الله تعالى يقرئها السلام وأي سلام ليس كمثله شئ إنه من الخالق إلى المخلوق.

ونستنتج أيضاً أن التربية الإسلامية تأخذ وتركز على النواحي المادية والمعنوية في نشر الدعوة والتعليم.

ونستنتج أيضاً أن للأسرة دوراً كبيراً في بداية الدعوة الإسلامية فكانت السيدة خديجة زوج النبي ﷺ تخفف عنه، وتساعده على تبليغ الدعوة ونشرها.

ونستنتج أن لأسرة صاحب أي دعوة أو تربية أو فكرة دوراً كبيراً في نجاح ذلك.

لذا فإن إصلاح البيئة المحيطة بالمتعلم والمعلم أمر ضروري وهذا المحيط يبدأ من الركيزة الأولى وهي الأسرة، ومجموع الأسر تكوّن المجتمع، كما أن الأفراد يكوّنون الأسرة وكان إصلاح جميع الأسر إصلاح للمجتمع.

ومن أحب الناس عند رسول الله ﷺ سيدنا علي بن أبي طالب

رضي الله عنه وعندما دعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام أسلم وكذلك من أحب الناس للرسول ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد أسلم دون تردد ليقينه بصدق وأمانة الرسول محمد ﷺ[1]، وقد أخذ أبو بكر يدعو إلى الله وإلى رسوله ﷺ فكان لذلك أكبر الأثر في نفس الرسول ﷺ.

ونختم أثر البيئة الاجتماعية على الدعوة الإسلامية في العهد المكي بأثر البيئة في سلوك الفرد وتربيته فمثلاً من الطرق التربوية: التربية المقصودة أو المباشرة والتي يقوم بها الآباء والمعلمون، والتربية غير المباشرة وغير المقصودة وتمثل المؤثرات الكثيرة التى يتعرض لها النشء في المحيط الذي يعيشون فيه وذلك خلال نموه الحسي والعقلي والاجتماعي وغيرها في البيئة والمدرسة، وذلك من خلال الكلام الذي يسمعه أو غيره، إذ يترك ذلك كله في نفسه أثراً سيئاً أو حسناً حسب تقبله لدى الطفل.

والناظر إلى خط الانحراف في العالم الإسلامي اليوم، يعلم أنه لم يكن جاء بالتربية المباشرة وإنما جاء بالتربية غير المباشرة وغير المقصودة.

وعلى أى حال فإن للبيئة أثراً في التربية، ومن هنا وجوب تهيئة البيئة التربوية الصالحة من المسؤولين حيث مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولكن لاييأس المربي من الإصلاح التربوي نتيجة وجود بيئة جاهلية فرضت عليه إذ يكون لهذه البيئة الجاهلية لو استغلها المربي أثر

---

(١) سيرة ابن هشام، جـ١، مرجع سابق، ص٢٦٤-٢٦٧.

على التربية بالإيجاب ونضرب الأمثلة على هذه الفكرة.

١- تربية الرسول ﷺ في مكة المكرمة لأصحابه في بيئة جاهلية فرضت عليهم.

٢ - تربية موسى عليه السلام وتربية يوسف عليه السلام وفي قصصهم عبرة لمن اعتبر وأن الحق يعلو ولايعلى عليه وأن العاقبة للتقوى.

٣ - قصة آسيا امرأة فرعون: ﴿**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ**﴾ [**التحريم**: ١١] فلم تزدها حياة قصر فرعون وما فيه من الخروج عن الفضيلة والتقوى إلا قوة في الإيمان، وشدة في الدين، وصلابة في اليقين.

٤ - ويوجد الكثير من المؤمنين المتمسكين بدينهم في صلابة وقوة وهم يعيشون الآن في بلاد الكفر كما هو مشاهد في عصرنا الحاضر؛ وكما قيل بالضد تتبين الأشياء ولذا كان الصحابي الجليل حذيفة رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه[١]. ومن كمال الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يعرف المعروف ولم يعرف غيره، قد لايكون عنده من العلم بضرر المنكر ماعند من قد علمه.

ومعرفة الشر لايعني فعله وإنما لتوقيه. ولذا فإن التطبيق في التربية الإسلامية يشمل فعل المأمور به في فعله، وترك المنهي عنه بتركه. وبالله التوفيق.

---

(١) أصل الحديث في الصحيحين وهو مشهور عن حذيفة رضي الله عنه.

الأصول التربوية الإسلامية
في العهد المكي

وَتُفْهَمُ الأصول التربوية الإسلامية من مصادر التربية الإسلامية والتي تتفق مع مصادر التشريع الإسلامى الأساسية: القرآن الكريم، والسنة المطهرة، بالإضافة إلى اجتهادات المفكرين التربويين المسلمين والتي لاتخالف تلك المصادر الأساسية* .

وعند قراءة السور المكية مثل سورة العلق وسورة القلم والمزمل والمدثر و إلى آخر سورة نزلت فى العهد المكي وهي سورة الروم(١) . نجد أن من أهم موضوعات الوحي في هذه الفترة تتركز في ثلاثة أصول تكَوِّن الأساس الذي تبنى عليه التربية الإسلامية في العهد المكي، وهي فترة بداية الانطلاقة لهذه التربية وهي مرحلة بداية الوحي للرسول ﷺ وبداية التبليغ منه ﷺ للناس مع بداية العمل على تكوين الطليعة الأولى من الصحابة الأفاضل رضي الله عنهم؛ وهذه الأصول هي:

الأصل الأول التوحيد:

وهو المحور الأساسي للتربية الإسلامية ويعني إخلاص العبادة لله تعالى وجعلها على سنة المصطفى ﷺ وبمعنى آخر تحديد الهدف

---

* لقد تحدث الباحث عن مصادر التشريع الإسلامي، وأنها تمثل المصادر الأساسية للتربية الإسلامية في بحث بعنوان «مدخل لاستنباط تطبيقات تربوية إسلامية من علم أصول الفقه» من منشورات مركز بحوث التعليم الإسلامي بجامعة أم القرى عام ١٤١٧هـ

(١) محمد بن عبدالله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،جـ١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص١٩٣.

الأساسي والغاية من التربية أو تحديد العمل الأساسي لهذه التربية وهو توحيد الله سبحانه وتعالى وهذا يقتضي تحقيق العبودية لله تعالى لكي يكون الإنسان إنساناً مؤمناً صالحاً والعبودية لله تشمل أعمال الإنسان جميعها الظاهرة والباطنة.

وهذا الإنسان المؤمن الصالح يتصف بإنه يتقي الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [**الحجرات**: ١٣] كما أنه يعبد الله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** (٥٦)﴾ [**الذاريات**] والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأعمال والأفعال وهي مقيدة بالنية لقوله ﷺ «**إنما الأعمال بالنيات**» وهذا هو الحديث الأول في أصح الكتب بعد القرآن الكريم هو صحيح البخاري رحمه الله تعالى.

كما أن هذا المؤمن الصالح هو الذي يتبع شريعة الله وهداه قال تعالى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٣٨)﴾ [**البقرة**] وهو المؤمن الذي يستحق الخلافة في الأرض ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [**البقرة**: ٣٠] وهي خلافة هدفها توحيد الله تعالى كما أنها تقوم على رعاية مصالح الناس وتحقيق العدل لتحصل الولاية من الله ﴿**وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [**الأعراف**: ١٩٦] ويتحقق الفوز الأساسي والنهائي لهذا الإنسان ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [**آل عمران**: ١٨٥] وبذلك يستمر الإنسان في أحسن تقويم ولايتردى إلى أسفل السافلين ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (٤) **ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** (٥)﴾[**التين**].

ولذلك نجد التربية الإسلامية ركزت على تحقيق هذا الأصل فترة

طويلة من الزمن حوالي ثلاث عشرة سنة مع الاستمرار في تقويته، ولكن في بداية انطلاقة التربية الإسلامية كان التركيز على التوحيد دون معرفة الأحكام والفرائض وتفصيلات جوانب التربية الإسلامية وذلك من أجل تربية الرواد الأُول على التوحيد المتمثل في الاعتقاد الصحيح بالقول والعمل بالشهادتين وأركان الإيمان والإحسان.

والتوحيد هو جوهر العقيدة وما هو إلا رفضُ العبودية للبشر في مختلف ضروبها وأشكالها إنه تحرير للإنسانية من مهانة الرق والاستعباد ومن فتنة تقديس الزعماء والرؤساء والأبطال والخوف من الجبابرة والطغاة [1].

فالتوحيد هو المحور الذي تنطلق منه التربية الإسلامية ولهذا نجد الآيات المكية تركز على هذا الأصل من إيمان بالله تعالى وبرسوله محمد ﷺ والحساب والبعث قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)** ﴾ [**المدثر**] وهذا يدل على أن ذلك اليوم يسير على المؤمنين عسير على الكافرين وهذا إشارة لأولي الألباب عن طريق التلميح دون التصريح وما أحوج المربي لاستخدام هذا الأسلوب حيث يربي طلابه عن طريق التلميح دون التصريح لأن اللبيب يفهم بالإشارة.

وتركز الآيات في العهد المكي على الثواب والعقاب من أجل ترسيخ عقيدة التوحيد قال تعالى في سورة القلم :﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)** ﴾ [**القلم**].

---

(١) عائشة بنت عبدالرحمن بنت الشاطئ، الشخصية الإسلامية، دراسة قرآنية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص١٨٤.

وتدل الآيات على مخاطبة الأذكياء لأنهم يعرفون الحكم الصحيح وكيف يحكمون، وذلك لتقوية الارادة عند من يسلم لأن التوحيد يربى في المسلم الإرادة القوية الناتجة من العقل المتمسك بالمثل الأعلى هذه الإرادة إذا اجتمعت مع المقدرة التسخيرية تعطي المؤمن العمل الصالح ويصبح ذا نفس عالية وعزيمة قوية(١).

قال تعالى: ﴿ **وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٣٩] وهكذا نجد أن أصحاب سيدنا محمد ﷺ في مكة المكرمة عرفوا آيات معدودات ففقهوا الوجود لأن قلوبهم كانت حية، وأصبح المثل الأعلى الذي آمنوا به أهم شيء عندهم(٢).

ولهذا نرى أن الأصل الأول من أصول التربية الإسلامية منذ بداية الانطلاقة وعهد التبليغ والتكوين هو ترسيخ أصول الإسلام الاعتقادية الأساسية والتي أساسها التوحيد، هذا التوحيد هو الأصل الأول في التربية الإسلامية مع استمراريته في هذه التربية.

الأصل الثاني: السنن الإلهية:

وتعني الاستفادة من سنن الله في خلقه للاتعاظ أي الاستفادة من تاريخ وقصص الأمم الغابرة والحديث عنها وبمعنى آخر الاستفادة من الخبرة السابقة، التي ذكرت في الوحي.

فعندما نقرأ مانزل من القرآن الكريم بمكة المكرمة من أول سورة

(١) ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، جدة: الدار السعودية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٧٠.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية في التخطيط الإسرائيلي، جدة: الدار السعودية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص٣٢١.

نزلت وهي سورة العلق حتى آخر سورة نزلت بمكة المكرمة وهي سورة الروم إننا نجد الأمثلة والأحداث الكثيرة التي تقص علينا قصص بني الإنسان وما كان جزاء المحسن منهم وما جزاء العاصي منهم إنها خبرة يجب الاستفادة منها وهذا ماتدعو إليه التربية الإسلامية في مجال الاستفادة من الخبرة السابقة، وهذه الخبرة مطلب من متطلبات التربية في أحدث نظريات التعليم وهي نظرية تجهيز المعلومات، «إذ يجب النظر إلى التعليم باعتباره بناء تراكيب أو أبنية معرفية فعندما يتم تعلم معلومات جديدة فإنها تكون إضافة إلى البنية المعرفية السابق وجودها في الذاكرة ولكي يصبح التعلم أكثر ديمومة يتعين إدماج الخبرات الجديدة في الخبرات السابقة ثم إعادة استخدام هذه الخبرات في المواقف الجديدة»[(1)] ولكن يجب اتباع ما تؤيده الشريعة الإسلامية، سواء في الفعل أو الترك أي فعل المأمور بعمله حسب الاستطاعة وترك المنهي عنه.

ولهذا نجد أن قصص الأمم السابقة قد فهمها الصحابة واستفادوا منها، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر قبل غزوة بدر استشار الرسول ﷺ أصحابه فقام أبو بكر وأحسن القول ثم قام عمر بن الخطاب وأحسن القول ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [**المائدة**: ٢٤] فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (موضع باليمن) لجالدنا معك

(١) فتحي مصطفى الزيات، أثر التكرار، ومستويات معالجة وتجهيز المعلومات على الحفظ والتذكر (دراسة تجريبية) رسالة الخليج العربي، العدد الثامن عشر السنة السادسة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٢٨.

حتى تبلغه فاستبشر الرسول ﷺ ودعا له ثم قام سعد بن معاذ وقال وأحسن ومما قال: فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد[1].

هؤلاء صحابة الرسول ﷺ آمنوا وحسن إيمانهم وعرفوا ماذا حصل للأمم المكذبة واتعظوا بذلك قال تعالى في سورة المزمل ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨)**﴾ [**المزمل**].

وكان لهذه القصص وأخبار الأمم السابقة تأثير قوي لتثبيت الرسول ﷺ على دعوته وما يلاقيه من أذى وعنت المشركين كما أن فيها تثبيتاً لقلوب المؤمنين على الإيمان ليزدادوا إيماناً، حيث لهذه القصص تأثير تربوي فعال على القلوب، فالمؤمن يفرح بنصر الله، والكافر يخاف عاقبة كفره، وماهو متوقع له، حيث سيحصل عليه كما حصل للأمم السابقة المكذبة، والكفار يدركون ذلك فما زمن أصحاب الفيل عنهم ببعيد قال تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)**﴾ [**الفيل**]

وسورة الفيل من أوائل السور المكية نزولاً فالأصل الثاني من أصول التربية الإسلامية هو الاستفادة من الخبرات السابقة ومن القصص القرآنية والتاريخ وسنن الله في خلقه مع استمرارية هذه الاستفادة.

---

(١) سيرة ابن هشام، جـ٢، ص٢٥٣ – ٢٥٤.

الأصل الثالث: التدرج التربوي:

ويعني التدرج في أساليب التربية، وهو تدرج فريد من نوعه، لا يشمل أموراً ليس فيها تدرج: مثل الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وليس هناك مقدمات لدعوة الشخص غير المؤمن لكي يؤمن، ولكننا نجده إذا اقتنع أنه يؤمن بالله وبرسوله ﷺ، وكأنما حدث ذلك فجأة منه وتم الاعتقاد بالعقيدة ككل وكأن التعلم هنا حدث بالاستبصار أي الإدراك الكلي المفاجئ لعناصر الموقف أو كما هو مطلوب، كما أن عقل الإنسان يستوعب المعلومات ذات الصيغة الجيدة ومستوى هذه المعلومات له والإنسان مفطور على التدين وعلى الارتباط بمثل أعلى كما أن الإنسان قابل للتعلم، ومفطور عليه.

ولكن نعود، والعود أحسن لتدبر ما نزل من القرآن الكريم من أول سورة نزلت وهي سورة العلق وآخر ما نزل بمكة المكرمة وهي سورة الروم لنرى مدى عمق هذا الأصل في التربية الإسلامية وقد يسمى مسميات أخرى ولكنها كشرح له حيث نرى أن بعض الأحكام في العهد المكي فرضت على المسلمين ولكن بصورة إجمالية ولم تفصل ولكن هناك تلميح وإشارات عنها كما في سورة المدثر مثلاً﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)** ﴾ [**المدثر**].

فالآيات توحي أن هناك أموراً لابد من عملها وأموراً لابد من

تركها أمور تخص أصحاب اليمين وأمور تخص أصحاب الجحيم فهناك صلاة وزكاة ومعاملات وصدق بيوم الدين وكل هذا كان في سورة المدثر وهي من أوائل مانزل من القرآن الكريم.

وعند قراءة السور المكية نلمح التدرج في أساليب التشريع الإسلامي، وأيضاً نلمح استمرارية هذا التدرج في أساليب التشريع حتى في العهد المدني، حيث كانت آيات التشريع وهي آيات الأحكام في الغالب جوابا لحوادث تحدث في المجتمع الإسلامي في أثناء سيره من التكوين إلى التمكين في عهد رسول الله ﷺ ونعرف هذه الحوادث بأسباب نزولها أما الأحكام التي نزلت بدون حادث أو سؤال فقليلة فقلما نرى حكماً أو تشريعاً لم يذكر المفسرون حادثاً أنزل الحكم مرتباً عليه [1].

ولذا فعند قراءة آيات السور المكية نجد أنه ليس فيها شئ من التشريع التفصيلي، بل معظم ما جاء فيها يرجع إلى المقصد أو الأصل الأول من أصول التربية الإسلامية وهو توحيد الله تعالى وإقامة البراهين على وجوده والتحذير من عذابه ووصف يوم الدين وأهواله والإيمان برسول الله ﷺ والحث على التمسك بمكارم الأخلاق التي بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ليكملها مع ربط هذا الأصل الأول مع الأصل الثاني والذي يدل على ما أصاب الأمم الماضية حينما خالفت ما دعاها إليه أنبياؤها [2].

وهنا نلمح أن هناك تدرجاً في التربية الإسلامية في أصولها

---

(١) محمد الخضري، تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت: دار الفكر، ط٧,١٤٠١هـ؟ ١٩٨١م، ص١٣-١٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٦.

ومقاصدها وفي تشريعها ولعل التدرج في النهي عن شرب الخمر، ثم تحريمه، في الآيات القرآنية وأيضاً عدم تكسير الأصنام التي حول الكعبة في بداية الأمر، حيث لم تكسر إلا في فتح مكة المكرمة، في السنة الثامنة من الهجرة، يدل أيضاً على أهمية التدرج في التربية الإسلامية.

وإنني ألفت هنا النظر إلى أول سورة نزلت من القرآن الكريم وهي سورة العلق، حيث نستنتج منها: أن التدرج في التعليم في التربية الإسلامية أصل أساسي تدعو إليه التربية مع استمراريته مع بقية الأصول واختيار المواقف المناسبة للتدرج واستخدام الأهم فالأهم مع تعليم الناس على قدر عقولهم وقوة إيمانهم.

قال تعالى: ﴿ **اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ [**العلق**] فكانت هذه الآيات من سورة العلق وهي أول آيات القرآن الكريم نزولاً على الرسول ﷺ وهو يتعبد في غار حراء.

ويستنتج من ذلك نزول القرآن منجماً على الرسول عليه الصلاة والسلام إذ يدل ذلك على التدرج في التربية الإسلامية ونزول خمس آيات عليه أولاً يكون في ذلك في التعليم والتربية من الله تعالى إلى رسول الله ﷺ، خير قدوة يستفيد منها معلم اليوم.

وأيضاً بدء الآيات القرآنية بالقراءة قبل التعليم بالقلم تدل على التدرج أيضاً وخلق الإنسان من علق أولاً ثم تدرج حتى يصبح بفضل الله تعالى عليه كما قال تعالى ﴿ **عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ أيضاً تدل على التدرج في التربية والتعليم.

ولهذا نرى أن التدرج في التربية أصل تدعو إليه التربية الإسلامية الناس، مع تكوين الطليعة الأولى من الصحابة إذ فرض عليهم بعض الأحكام ولكن بصورة إجمالية، إذ تكون وفقاً لمبدأ التدرج في التربية والتعليم، وتمهيداً لما سيأتي من تشريع هدفه تحقيق مصالح العباد والبلاد، وهي مصالح مشروعة، يكون العمل بها خالصاً لوجه الله تعالى، وموافقاً لما جاء به المصطفى ﷺ وعلى آله وأصحابه، ومبنياً على أساس العقيدة والإيمان بالله تعالى.

والأصول التربوية في الإسلام هي أصول مستمرة في حياة الإنسان، تكون في وحدة واحدة مترابطة متماسكة، فمثلاً الدارس لأخبار الأمم الغابرة، من خلال القصص القرآني يجد أن من أخلص العبادة لله واتقاه، فهو في عز وكرامة، قوي الإرادة، لأنه عبد الخالق، بخلاف من يعبد مخلوقاً من مخلوقات الخالق فإنه ينتقص من كرامته وتكون حياته في تعاسة، نسأل الله السلامة والعفو والعافية لنا ولكم في الدنيا والآخرة.

التكوين التربوي للطليعة الأولى من المسلمين

استمرت التربية بمكة المكرمة نحو ثلاث عشرة سنة وقد حددها الشيخ محمد الخضري بأنها اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً من ١٨ رمضان من سنة ٤١ من ميلاده عليه الصلاة والسلام إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ من ميلاده ﷺ[١].

وفي هذه الفترة الزمنية بدأت انطلاقة التربية الإسلامية من وحي ينزل على الرسول ﷺ فيبلغ به مع العمل على تكوين من يؤمن به تكويناً إسلامياً وبذلك تكوّن من خلال الفترة الزمنية السابقة الرواد الأوائل وقدفهموا أصول الإسلام الاعتقادية وعرفوا قيمة توحيد الله تعالى.

والإنسان مفطور على التوحيد، وتعليم ما يلائم الفطرة أسهل من تعليم ما يناقضها كالكفر والشرك، وقد تربوا على يدي رسول الله ﷺ القدوة لهم، بعمله، وقوله وإقراره، وعرفوا منه ماتدعو إليه التربية الإسلامية نظرياً وعملياً، وفهموا ذلك مما زاد إيمانهم بالله وبرسوله ﷺ، وعرفوا من الوحي قصص الأمم الغابرة وما أصاب من كذَّبَ منهم، وما كان جزاء الصادقين، فعرفوا تاريخهم وسنن الله في خلقه، وإنهم لم يخلدوا فقد مضوا وبقيت أعمالهم وقد ذهبوا إلى ماقدموا

(١) محمد الخضري، تاريخ التشريع الإسلامي، بيروت: دار الفكر، ط٧، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٨.

من صدق أو تكذيب، وإن التصديق بالله وبرسله يؤدي إلى الجنة، كما أن التكذيب بذلك مصيره النار، وما أشد الفرق بينهما، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

وقد عمل هؤلاء الرواد بكل ما أمر الله ورسوله به حتى قال تعالى عنهم في سورة الشورى وهي من السور المكية ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** (٣٨)﴾ [**الشورى**].

ويستدل من الآية أن المنهج التربوي لهؤلاء الرواد هو الوحي والذي يتضمن القواعد العامة والمبادئ الاجمالية وقد استعانوا بالصبر والصلاة وقد فرض عليهم ذلك في مكة المكرمة قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾ [**البقرة**: ٤٥] والصبر ضياء، والصلاة نور، وصلة بين العبد وربه، ومنهجهم أيضاً التربوي الشورى وتبادل الآراء فيما بينهم وهذه لتقوية نفوسهم وإشعارهم بأهميتهم في اتخاذ القرار، علماً بأن أغنى الناس عن أخذ المشورة رسول الله ﷺ لأنه مؤيد بالوحي من الله ولكن الله أمره بالشورى، ومدح الله المسلمين بها كما مر معنا في الآية السابقة، وأمره بها بقوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [**آل عمران**: ١٥٩]

فالأمر هنا إلى الرسول ﷺ وإلى كل من ولى أمر المسلمين تربويا وغير ذلك فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوصه، فالأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أمر إلى أمته.

فتكوَّنت الطليعة الأولى من الرواد المسلمين أفضل تَكْوِين

بأسلوب تربوي متدرج يبدأ بالأهم فالأهم يبدأ بإخلاص العقيدة قبل تحطيم الأصنام يبدأ بإصلاح النفس ومحاسبتها قبل إصلاح غيرها.

ثم أخذت هذه الطليعة توسع مداركها فيما حولها لتصلح البيئة ومن فيها كما أصلحت نفوسها من قبل ذلك إقتداء برسول ﷺ الذي ذهب إلى الطائف لنشر الإسلام وكان يعرض نفسه في القبائل الوافدة إلى مكة المكرمة وإلى أسواق العرب.

فبعض هذه الطليعة هاجرت إلى الحبشة مثل: جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه (١) ومنهم من ذهب إلى المدينة المنورة مثل: أبوسلمة ومصعب بن عمير رضي الله عنهم (٢) لتعليم المسلمين هناك وتمهيداً لأمر أراده الله ثم حدثت الهجرة الكبرى هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة المنورة لتبدأ الفترة المدنية فترة التمكين بعد التكوين قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)** ﴾ [**الحج**].

وقد حصل لهم وحصل منهم ما ذكر في الآية السابقة بفضل الله تعالى سواء كانوا مهاجرين أو أنصاراً أو ممن لحق بهم ممن سار على منهجهم التربوي، وهي من السنن الإلهية ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

---

(١) سيرة ابن هشام، مرجع سابق، جـ٢، ص١٢٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، ج٢ـ، ص٧٧.

دور المرأة المسلمة في العهد المكي:

في هذه الدراسة لانستطيع أن نحصى دور المرأة المسلمة في هذا العهد المكي لأن ذلك يستحق أن يكون عنواناً منفرداً لدراسة أخرى، ولكننا نورد من ذلك على سبيل التذكير والتمثيل، وليس على سبيل الحصر والاستقصاء، فنورد القليل وعسى أن يكون أفضل من العدم، وعسى أن يكون مفتاحاً لمعرفة دور المرأة المسلمة في العهد المكي.

فأول من أسلم هي المرأة: هي خديجة الكبرى رضي الله عنها[١] كان لها الفضل العظيم على نشر الإسلام بتثبيتها لرسول الإسلام من قبل نبوته ومن بعدها، فهي مربية عظيمة وأم رحيمة صائبة الرأي فقد قالت لرسول الله ﷺ «ابشر يابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة»[٢].

ومنهن فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها فكلما ذكر إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر اسم «فاطمة» أخته رضي الله عنها فقد اسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد قبل إسلام عمر وقد علم بذلك عمر فذهب إليهما وبطش بصهره سعيد، حتى سال دمه ثم التفت إلى أخته يسألها فقالت كلمتها المشهورة نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك وكان في يدها صحيفة من القرآن فطلبها عمر فرفضت وقالت لايمسها إلا الطاهر وأخذت تحاوره بالتي

---

(١) سيرة ابن هشام، جـ١، ص٢٥٩.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٦.

هي أحسن حتى هدأ غضبه وتطهر وقرأ الصحيفة ووقع في قلبه الإيمان بالله وبرسوله ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وكان مع أصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم وأسلم وكان ذلك فضل من الله تعالى على المسلمين[1].

ومنهن سمية بنت خباط رضي الله عنها أم عمار بن ياسر وكانت سابعة سبعة في الإسلام وكانت قوية الإيمان، عذبها أبوجهل حتى قتلها ولم ترتد عن دينها فكانت أول شهيدة في الإسلام[2] فهي أم عمار سمية رضي الله عنها قدوة النساء والرجال، إنها آمنت بالله وبرسوله ولم تبال بأبي جهل وتعذيبه حتى ماتت فكانت الشهيدة الأولى وهذا يدل على قوة الإيمان للطليعة الأولى من المسلمين من النساء ومن الرجال ومدى تأثرهم بالتربية الإسلامية وفهمهم لها.

ومنهن فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف أم علي بن أبي طالب وزوج أبي طالب راوية من راويات الحديث روت عن النبي ﷺ ٤٦ حديثاً وكانت ذات صلاح ودين وكان رسول الله ﷺ يزورها وكان يقول: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها[3].

ومنهن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فقد قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مارأيت قط أحد أفضل من فاطمة

---

(١) محمد قطب، عبدالفتاح الدومي، من أعلام النساء، سيرة ومنهاج مكتبة الإحسان، لم يذكر مكان النشر، ولا تاريخه، ص٢٦٨ -٢٨٨.

(٢) أ - ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٨، رقم ٥٨٢، ص١١٣ - ١١٤.
ب - عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة (د. ت)، ص٢٦١ - ٢٦٢.

(٣) عمر رضا كحالة، أعلام النساء، جـ٤، المرجع السابق، ص٣٣.

غير أبيها أخرجه الطبري[١] .

وفي الصحيحين عن المسور بن مخرمة قال سمعت النبي ﷺ يقول : «**فاطمة بضعة مني يؤذيني مأذاها ويريبني ما رابها**»[٢] ، وقال عكرمة عن ابن عباس خط النبي ﷺ أربعة خطوط فقال «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسيا**»[٣] .

وكل النساء السابقات كان لهن دور في التربية وبناء الأجيال وقد عاشت فاطمة الزهراء على قدرها عند الله ورسوله تخدم زوجها وأولادها حتى أثرت الرحى التي تطحن الحب في يدها[٤] ، وكان بالإمكان أن تجد خادماً أو خادمة والكل يتمنى شرف خدمتها ولكنها تريد بذلك الأجر والثواب ولكي تكون قدوة لنساء المسلمين من بعدها .

ومنهن ذات النطاقين والتي اشتهرت بهذااللقب طيلة حياتها وهو عنوان فضلها وتضحيتها ومغامراتها وبطولتها المبكرة في ميدان الدعوة الإسلامية إنها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقد شقت نطاقها لتربط متاع رسول الله ﷺ عندما عزم على الهجرة إلى المدينة وكان أبوها برفقته كما أنها كانت تحمل إليهما الطعام ليلاً ونهاراً وهي ترعى الغنم، وتخبرهم بخبر قريش ولعل هذا يقتضي حسن التصرف والجرأة والنباهة والحذر وقوة الملاحظة وحضور البديهة وهذه الصفات جميعها توفرت في أسماء[٥] . وأسماء هي أم

---

(١) ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٨، ص١٥٨ .

(٢) ، (٣) ، (٤) المرجع السابق، ص١٥٨ .

(٥) محمد قطب، عبدالفتاح الدومي، من أعلام النساء، مرجع سابق، ص٢٣٨ .

أول مولود في الإسلام بالمدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها وقد ربَّت أبناءها وهم عبدالله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر وخديجة وأم الحسن وعائشة أحسن تربية ونشأتهم على الدين والعلم وكانت صوَّامة قوَّامة كريمة اليد عزيزة الجانب فغرست في أبنائها روح الشجاعة والإقدام والجرأة في القول والعمل(١).

وقد شهدت مقتل زوجها الزبير بن العوام، وقد غدر به صعلوك من صعاليك العرب اسمه عمرو بن جرموز، وقد تألمت وفاض أساها ترثي زوجها وأنشدت:

غدر(ابن جرموز) بفارس بُهْمَةً يوم الهياج وكان غير معرد

ياعمرو لو نبهته لوجدته لاطائشاً رعش الجنان ولااليد

ثكلتك أمك إن قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

وفي آخر عمرها دخل عليها ابنها عبدالله بن الزبير وقد تكاثر عليه أعداؤه بمكة المكرمة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي وقد كف بصرها وقد أشرفت على المائة من عمرها رضي الله عنها وقالت له: أنت والله يابني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل معك وإن قلت: كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا بعد أصحابك فالقتل في العز أحب من

---

(١) أ – محمد قطب، عبدالفتاح الدومي، من أعلام النساء مرجع سابق ص ٢٤٧.
ب– محمد حسن بريعش، ذات النطاقين، الأردن الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٨٧.

ضربة بسوط في الذل: [1].

مت كريماً أو عش وأنت عزيز　　　بين طعن القنا وخفض البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغـيظ　　　وأشفى لغل صدر الحقود [2].

هكذا كانت الصحابيات رضي الله عنهن قدوة في التربية قوة في اللقاء، وكل شئ يهون في سبيل طاعة الله سبحانه وتعالى، وإن مثل هذه النماذج تحتاجها الأمة الإسلامية الآن ليسودها العدل وترجع إليهاعزتها ويقوى انتماء أهلها لها حتى يقول الفرد أنا مسلم ويفتخر بذلك كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)** ﴾ [**فصلت**] ولهذا من واجب المربين والمربيات غرس هذه الصفات الحميدة في نفوس النشء لجعلهم يعتزون بإسلامهم، ويفتخرون بأنهم من المسلمين.

---

(١) محمد قطب، من أعلام النساء، مرجع سابق، ص١٥٤ – ٢٦٦.
(٣) المرجع السابق، ص٢٥٩.

نشر التربية الإسلامية خارج مكة المكرمة في العهد المكي

خرج رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى الطائف يدعو إلى الإسلام كما أنه كان يتعرض للقبائل الوافدة إلى مكة المكرمة أو أسواق العرب لنشر الإسلام[1] وكان يرسل أصحابه لنشر دعوة الإسلام حيث أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه معلماً يعلم الناس القرآن الكريم في المدينة المنورة، قبل الهجرة النبوية، فكان مصعب نعم المعلم ونعم الفارس، الذي حمل الراية في غزوة أحد، واستشهد فيها رحمه الله[2]. وأمر ﷺ بعض أصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى الحبشة ومن فوائد هذه الهجرة: نشر الإسلام، وإظهار الدعوة الإسلامية، وتوسيع مدارك الصحابة رضي الله عنهم وتقوية إرادتهم، وعزيمتهم المعنوية والجسمية فكان المهاجرون إلى الحبشة من أقوى الناس في الجسم والذكاء والإيمان، منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت الرسول ﷺ والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة ويقال إنه من نسل عنترة بن أسد بن ربيعة ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة وبلغ عددهم ثلاثة وثمانون[3].

---

(١) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص١٢٢ – ١٢٧.

(٢) علي بن محمد المعروف بالخزاغي، كتاب تخريج الدلالات السمعية، القاهرة، وزارة الأوقاف، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٧٨.

(٣) سيرة ابن هشام، جـ١، مرجع سابق، ص٣٤٣ – ٣٥٣.

وبالنظر إلى من هاجر إلى الحبشة من المسلمين فهم ليسوا من الضعفاء فقط؛ بل فيهم القادة والأقوياء جسمياً وعقلياً ولكن ذلك لنشر الإسلام وإعداد هؤلاء الرواد على الاحتكاك بالشعوب المحيطة بهم ومعرفة عاداتهم وأديانهم وبلادهم وكذلك التعود على الرحيل والانتقال من مكان إلى مكان وتحمل مشقة السفر وكل ذلك من أجل الإعداد لهم لمرحلة لاحقة وهي عندما تتكون دولة الإسلام بالمدينة المنورة وفعلاً رجعوا وهم أشد ما يمكن على تحمل المشاق والجهاد، في سبيل الله تعالى؛ وكل ذلك كان بفضل الله وتدبيره، وما قيل عن الهجرة إلى الحبشة كان طرفاً من الحكمة التي فهمها الباحث، والعلم عند الله يدبر الأمور لحكمة هو يعلمها سبحانه وتعالى.

ولكن هذا يعطينا مؤشرات من التربية الحكيمة التي كان ينتهجها رسول الله ﷺ مع أصحابه فهو يخرج للدعوة، وهم يخرجون للدعوة والاستطلاع على من حولهم، ولعل هذا تدريب لهم بشكل متدرج للخروج في سبيل الله فيما بعد إلى البلدان المجاورة وهذا فعلاً ما حدث حيث ينتشر المسلمون أهل مكة وأهل المدينة إلى جيمع أنحاء المعمورة لنشر الإسلام فلا أرض ولا أهل ولا مال ولا أولاد تثني عزائمهم في تحقيق مرضاة الله تعالى؛ فعلاً إنهم أهل لصحبة المصطفى ﷺ فهم قطعوا كل العلائق التي تمنعهم من نشر الإسلام من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ولكي يرضى الله عنهم وينالوا ثوابه.

ولعل هذا يؤيد تحقيق أي هدف؛ إنه لا بد من قطع جميع العلائق والمعوقات التي تمانع من تحقيق ذلك الهدف وهذا ينطبق على

تحقيق الأهداف التربوية وغيرها ونشر التربية الإسلامية خارج مكة المكرمة في عهد النبي ﷺ يوضح مدى توجيهاته التربوية الحكيمة لخريجي تربيته من الصحابة الذين ذهبوا إلى خارج مقر تعليمهم من أجل نشر التربية الإسلامية، في إطار نشرهم الدين الصحيح الدين الإسلامي.



ميادين التربية الإسلامية
في العهد المكي

أولاً : ميدان العقيدة:

ويتضح من الأدلة التفصيلية من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة إذ عند إمعان النظر في ذلك نجد أن هذا الميدان يمثل تكوين عقيدة التوحيد وغرس الاتجاه الإيماني في قلوب من آمن ليتأثر نشاطهم بهذا الاتجاه وتتجه عقولهم إلى أنفع المجالات ومما يؤدي إلى معرفة التفسير الصحيح لغاية الحياة ونشأتها في ظل التربية مع تحديد ماهي التربية التي تقوم عليها؟ وما عاقبة الحياة؟ وما مصيرها التي ستؤول إليه؟[(١)] . والمحور التي تقوم عليه التربية الإسلامية هو التوحيد ومنه يُستمد أهدافها ومناهجها وأساليبها وأنشطتها وبه تؤتي التربية ثمارها فيسعد الإنسان بها[(٢)] .

وقد ذكر الطبري في تفسيره أن سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن الكريم وروى عن بشر عن سعيد عن قتادة أنه قرأ حتى بلغ **(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)** ثم قال القلم نعمة عظيمة، لولا ذلك لم يقم ولم يصلح عيش[(٣)] ، ومن قراءة تفسير الطبري لسورة العلق نستنتج أنه يلزم المربي أن يستخدم فعل الأمر في الأفكار المتعلقة بالعقيدة في الأمور التي يشعر المربي أن الطالب يستطيع القيام بها فيتم التعلم عن

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، تطوير مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣١٨ .

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، الفكر التربوي عند ابن تيمية، الأردن : جمعية عمال المطابع التعاونية، ط٥ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٧٢ .

(٣) تفسير الطبري، جـ٣٠، ص٢٥١ .

طريق الاستبصار فيحدث فجأة كالبدء أولاً ببسم الله أما التعلم بالقلم فلم نجد أمراً من الله تعالى لرسوله ﷺ، وبصيغة الأمر وإنما قال تعالى (**الذي علم بالقلم**) وكأن هذا فيه نوع من الصعوبة فيتعلمه المتعلم بالتدرج وقد تبدأ محاولاته الأولى بالمحاولة والخطأ حتى يتقن الصواب فتبقى المحاولات الخاطئة، أو تزول لأن البقاء للأصلح والخاتمة الحسنة للمتقين.

ولهذا نستنتج من هذه السورة العظيمة أن هناك أموراً في التربية الإسلامية يجب على المعلم أن يصدر أمره للمتعلم بالتنفيذ دون الاختيار وهي الأمور التي تتعلق بالتوحيد وبالعقيدة، أما الأمور التي يكون السعي فيها حسب الاستطاعة والجد والاجتهاد وحسب قدرات المتعلم ففيها باب واسع لحرية الاختيار للمتعلم والعمل حسب القدرة والاستطاعة.

وقد ركزت الآيات المكية تركيزاً واضحاً على ما يتعلق بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعلى وصف يوم القيامة وأهوالها وعلى إقامة البراهين على وجود الله تعالى وكل ذلك من أجل تكوين الميدان الأول في نفوس الصحابة وهو التوحيد وأصول الدين الإسلامي(١) . المتمثلة في معرفة العبد لربه الله تعالى ومعرفة دينه الإسلام ومعرفة نبيه محمد ﷺ.

وجاء في تفسير الفخر الرازي أن كلمة «اقرأ» في قوله تعالى ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ لا تعني اذكر الله تعالى فقط لأن

(١) محمد الخضري، تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص١٦.

الرسول ﷺ كان مشغولاً بذكر الله تعالى يقول الفخر الرازي أي اقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أي قل بسم الله ثم اقرأ ومع هذا كله فإن قراءة القرآن أفضل الذكر[1].

كل هذا لأجل ترسيخ هذا الميدان ميدان العقيدة وربط الإنسان به في كل تصرفاته.

ثانياً : ميدان التزكية:

من تدبر لفظ يزكيهم في القرآن الكريم يجد أن المقصود بها انتزاع ماهو غير مرغوب في الإنسان وتعزيز ما هو مرغوب، فهي تعديل للسلوك ضابطة للتعليم ولهذا فهي توجه سلوك المتعلم وتحقق أهدافه[2]، فالتزكية تتعلق بمحاسبة النفس وأفعال القلوب والحث على مكارم الأخلاق والزهد لأجل مرضاة الله تعالى وربط العمل بالنية الخالصة لله تعالى والقيام بالنوافل مثل قيام الليل وصيام التطوع. « فالتزكية هي عملية التربية وبها يسعد كل مسلم بإذن الله تعالى .. ومجالها النفس والقلب »[3].

وقد سمعت أن هناك مراتب للنفس ذكرت في القرآن الكريم واستنتجت بفضل الله تعالى ثمان مراتب فأدنى هذه المراتب (النفس الناطقة) وهذه الصفة تشترك فيها جميع مخلوقات الله بنطقها الخاص بها قال تعالى :﴿ **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**

هذه ﴿٢٣﴾ [illegible]

---

(١) التفسير الكبير مفاتيح الغيب للفخر الرازي، جـ٣٢، ص١٣ .

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية، مرجع سابق، ص٤١ – ٤٣ .

(٣) علي جريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١٠٣ .

المراتب للنفس (النفس الأمارة بالسوء) ويشترك في هذه المرتبة المسلم والكافر مثل قوله تعالى :﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٥٣) ﴾ [**يوسف**] والدرجة الثالثة من مراتب النفس هي (النفس اللوامة) وهي خاصة بالمسلمين أمة الاستجابة قال تعالى ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** (١) **وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** (٢) ﴾ [**القيامة**]وقد نظرت في حال المسلمين اليوم فوجدتهم في هذه المرتبة إلا ما شاء الله حيث يكثر الاستنكار واللوم، مع معرفتهم للحلال ولكن ليس لديهم قوة في النفس، فتجد الكثير يعمل بالحرام وهو يعرف أنه حرام، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وكل ذلك في نظري لسوء التربية حيث من واجبها انتزاع هذه النفس اللوامة إلى المرتبة التي تليها الآتية ليتم لها الرقي فيما بعد وبالله التوفيق .

كما أن النفس اللوامة يرجى منها خيراً حيث أقسم الله بها ولكن هذه النفس في جملتها معرضة للمخاطر والمصائب حتى ترجع عن غيها وفسادها قال تعالى﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٤١) ﴾ [**الروم**] وعند تأمل الآيتين السابقتين رقم١ ,٢ من سورة القيامة وحال المسلمين اليوم، يجعلنا نقول : إن القائمين على التربية الإسلامية مسؤولون أمام الله للأخذ بهذه الأنفس اللوامة والتي كثر سوادها في هذا العصر حتى كاد في نظري أن يعم جميع المسلمين إلا نادراً، ومن عصمه الله تعالى من ذلك، ولعل معالجة هذه الحالة التي أصيب أكثر المسلمين بها

وتوقفوا عندها تحتاج إلى جهود مكثفة في لجنة عمل للأخذ بها قبل أن تهوى فتحاسب على إفراطها في الدنيا والآخرة.

والدرجة الرابعة من مراتب النفس وهي (النفس الملهمة) قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾ [**الشمس**:] وهذه نفس قوية عاقلة، قادرة على التعليم والتعلم، لو تصل الشعوب الإسلامية عندها لخضعت لهم الدنيا بأسرها، وكانت نفوس الصحابة والسلف الصالح في هذه الدرجة، وفي الدرجات التي تليها ما عدا الدرجة الثامنة وهي درجة خاصة بالنبوة وهي: (النفس الكمالية أو الكاملة)، وهي نفس سيدنا محمد ﷺ فنفسه كاملة وهو بشر ولكن ليس كسائر البشر إذ يوحى إليه من ربه تعالى وقد ذكرنا شيئاً من ذلك فيما مضى من الدراسة قال تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)** ﴾ [**النجم**] والرسول ﷺ معصوم من الخطأ لكي يبلغ رسالات ربه فكلامه وفعله تربية وشريعة للمسلمين، والشريعة تربية.

وقد استطاع ﷺ أن يجعل - بفضل الله - نفوس أصحابه في الدرجة الرابعة الملهمة وما بعدها من مراتب في مرحلة التكوين في العهد المكي وإن شاء الله سوف نذكر بقية مراتب النفس في مرحلة التمكين في العهد المدني فيما يأتي، وذلك مما استنتجناه من معنى الكثير من الآيات الكريمة.

وقد ذكر الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره: أنَّ هناك إجماعاً على أن المزمل هو النبي سيدنا محمد ﷺ والمزمل هو الذي تزمل

بثيابه أي تلفف بها[1]، وقد أمر الله تعالى رسوله في سورة المزمل أن يقوم ويعمل مبتدئاً بنفسه فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨)**﴾ [**المزمل**].

وعند قراءة سورة المزمل نجد أن الله تعالى طلب من نبيه ﷺ قيام الليل وترك له مجال تقدير القيام ولكن ضمن إطار ما بين نصف الليل أو أقل من النصف قليلاً أو أكثر من النصف وبدون تحديد وهذا يؤدي إلى التفكير والقياس والتربية الإسلامية تدعو إلى ذلك وتربي الأنفس عليها لذا نستنتج أن المربي قدوة قبل التعليم وأن يعمل بنفسه قبل أن يأمر غيره وقد قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلق وتأت مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم[2].

والانسان العاقل ينبغي أن يخاف على نفسه أكثر من خوفه على غيره فيعمل الصالحات قبل أن يأمر بها. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)**﴾ [**الصف**]وإن شاء الله سوف نكمل هذا الميدان (ميدان التزكية) في الفترة المدنية فيما بعد، وبالله التوفيق.

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، مرجع سابق، جـ٣٠، ص١٧١.

(٢) ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨م، ص٩٥.

ثالثاً : ميدان الإعداد الفكري

ويؤخذ هذا الميدان من الدراسة الجادة والتعليم والتعلم للقرآن الكريم والسنة المطهرة، إذ يركز هذا الميدان على تدريب المتعلمين على فهم محتويات مصادر التربية الإسلامية لاستخراج حاجات جيلهم في ضوء متطلبات المكان والزمان وفي إطار شريعة الله والتي لا حرج فيها كما أنها صالحة لكل عصر وكل جيل(١)، بل نقول: لا يصلح لكل عصر ولكل جيل إلا التربية الإسلامية.

ونستنتج من قراءة تفسير الطبري لسورة العلق، أنه يتبادر إلى الذهن الأخذ بما تدعو إليه التربية الإسلامية من التدرج في عملية التعليم وأنه أصل من أصولها، حيث تدل الآيات الأولى من هذه السورة الكريمة أن تعلم القراءة قبل تعلم الكتابة بالقلم، ومن هنا نستنتج أن القدرة على النطق والقراءة، والكتابة، لأن الذي أمره بذلك هو الذي خلقه، وهو أعلم بقدراته، واستعداداته، ولكن قدرات الإنسان تنمو نمواً مستمراً متكاملاً ومتطوراً خلال مراحل حياته يتضح من قوله تعالى:﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)** ﴾[**العلق**] حتى قوله تعالى في سورة العلق ﴿ **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ [**العلق**] وحصول الإنسان على العلم هو أشرف ما يمكن الوصول إليه قال تعالى ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)** ﴾ [**طه**] وهذا التوجيه الإلهي دليل على أهمية طلب الاستزادة من العلم.

وإذا رجعنا إلى أسباب نزول سورة العلق فقد ذكر الواحدي:

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٨.

بينما رسول الله ﷺ يتعبد في غار حراء جاء الملك جبريل فقال: «**اقرأ فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقاريء قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق –حتى بلغ ما لم يعلم**»[(١)] .

نستنتج من أسباب نزول سورة اقرأ «العلق» كيفية تعليم سيدنا جبريل عليه السلام للرسول ﷺ بأمر من الله تعالى حيث إن التعلم أثبت عند المتعلم ويحدث بسرعة عندما يكون هناك دافع عند المتعلم، وتهيئة استعداد المتعلم للتعلم، وتكرار الموقف إذا كان الأمر صعباً، فإجابة الرسول ﷺ ما أنا بقارىء تدل على خلقه وأدبه وأن لديه الرغبة والدافع للتعلم وذلك عندما نتأمل جميع الإجابات الممكنة من غير جواب النبي ﷺ والأخذ والغط من جبريل عليه السلام للرسول ﷺ يدل على تهيئة الاستعداد للتعلم، والتكرار ولكن يشرط في التكرار المفيد الذي يزيد في التعلم والحفظ كما في موقف الرسول هذا مع سيدنا جبريل وإلا لا فائدة من التكرار الذي لا تأثير له في زيادة التعلم.

كما نستنتج أهمية السماع في التعلم ومنزلته كفكرة ترتكز عليها التربية الإسلامية، ولكن هناك درجات عند أصحاب السماع كما ذكرها ابن قيم الجوزيه في كتابه مدارج السالكين حيث قال: «وأصحاب السماع منهم من يسمع بطبعه ونفسه وهواه فهذا حظه

---

(١) اسباب النزول للإمام أبي الحسن الواحدي، ص٤٥.

من مسموعه ما وافق طبعه ومنهم من يسمع بحاله وإيمانه ومعرفته وعقله فهذا يفتح له من المسموع بحسب استعداده وقوته ومنهم من يسمع بالله لا يسمع بغيره كما في الحديث الصحيح «**فبي يسمع وبي يبصر**» وهذا أعلى سماعاً وأصح من كل واحد[(١)]

ولهذا فإن الناس يتفاوتون في علم الكتاب كما يختلفون في مدى السماع نلمح ذلك من قوله تعالى﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [**النمل**: ٤٠] فإذن عفريت الجن لم يقدر على ذلك أي إحضار عرش بلقيس ملكة اليمن وقدر عليه الذي عنده علم من الكتاب فلابد أن الله رفعه بهذا العلم درجات[(٢)]، ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [**المجادلة**: ١١].

وإن شاء الله سوف نكمل هذا الميدان في العهد المدني فترة التمكن في التربية الإسلامية .

رابعاً : ميدان الإعداد الوظيفي:

ويؤخذ هذا الميدان مما جاء في معان الحكمة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، حيث تتنوع معان الحكمة حسب استعمالاتها وحسب تنوع المهارات والوظائف العقلية والنفسية والجسدية التي يجب على الإنسان أن يمارسها فهي تجعله يميز بين الصواب والخطأ

---

(١) ابن قيم الجوزيه، مدارج السالكين، جـ١، ص٥١٨.

(٢) علي جريشة، دعوة الله بين التكوين والتمكين، مرجع سابق، ص١١٤.

والنافع والضار[1]، ففي السنة الأولى من بعثة سيدنا محمد ﷺ، وهي الحادية والأربعون من عمره عليه الصلاة والسلام وفي هذا العمر يكتمل النضج الفكري وغيره قال تعالى ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [**الأحقاف**: ١٥].

وبعد عمر الأربعين يكون غاية كمال الشخصية ونضجها وقدرتها على اتخاذ القرار وتبرز الحكمة فيها بالدعوة باللين في موضعه والشدة في موضعها والبدء في الأمور بالأهم فالأهم ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، ولعل التربية الإسلامية تستفيد من هذا المعيار الحكيم، وهو مراعاة النضج، والعمر الزمني، وتطبيقه ولو على من يضعون المناهج، والبرامج الدراسية، وعلى من يديرون المؤسسات التربوية، بحيث تكون أعمارهم فوق الأربعين مع توفر بقية الشروط لنجاح أي عمل.

وتذكر كتب السيرة أن أول من آمن من النساء خديجة بنت خويلد ومن الرجال أبو بكر الصديق ومن الصبيان علي بن أبي طالب، وهم ليسوا في عمرهم الزمني سواء، لذا ندرك أن الدين الإسلامي يهتم بأفراد المجتمع كلهم، ومن هنا نستنتج أن التعليم في التربية الإسلامية يهتم بجميع أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم لأن التربية الإسلامية تربية هادفة هدفها الأساسي تحقيق العبودية لله تعالى،

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سابق، ص٥٠ –٥١.

ولكي يكون الإنسان إنساناً مؤمناً صالحاً وما أجمله من هدف إذا جُعل ثمرة للسلوك المراد إكسابه للمتعلم.

وقد سألت السيدة خديجة رضي الله عنها عما يجده رسول الله ﷺ وما يسمعه من الوحي ابن عمها ورقة بن نوفل وكان ذلك في السنة الأولى من بعثة الرسول ﷺ.

وأنشد ورقة وقال:

ياللرجال وصرف الدهر والقدر وما لشيء قضاه الله من غير

حتى خديجة تدعوني أخبرها ومالها بخفي الغيب من خبر

فخبرتني بأمر قد سمعت به فيما مضى من قديم الدهر والعصر

بأن أحمد يأتيه فيخبره جبريل إنك مبعوث إلى البشر

فقلت علّ الذي ترجين ينجزه لك الإله فرجي الخير وانتظري

وأرسليه إلينا كي نسأله عن أمره ما يرى في النوم والسهر[1]

وإن سؤال خديجة رضي الله عنها لورقة يدل على الاستفادة من خبرات الآخرين وفي هذا حكمة والتربية الإسلامية تدعو إلى الاستفادة من الخبرات السابقة بل تجعلها من أصولها التربوية التي تهدف إلى تحقيق التزكية في النشء.

(١) عمر بن فهد إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ١، ص١٦٨.

خصائص التربية الإسلامية في العهد المكي

من العرض السابق يمكن تلخيص الفترة المكية فيما يلي:

١ – إعداد المعلم الأول وهو رسول الله ﷺ.

٢ – تثبيت أصول الإسلام الأساسية الاعتقادية في نفوس الرواد.

٣ – غرس أهداف التربية الإسلامية، وتكمن في السلوك المراد إكسابه للمسلمين من تحقيق العبودية لله تعالى وحده، وتكوين الإنسان المؤمن الصالح المتصف بالتقوى والمستحق للخلافة في الأرض، المؤمن القوي، صاحب الشخصية المتميزة بالإيمان القوى، وعمل الصالحات واتباع منهج الحق والصبر عليه مهما كانت الظروف قال تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)** ﴾ [**العصر**].

٤ – إعداد الطليعة الأولى من الرواد وهم المساعدون للمعلم الأول في حياته والاستمرار على نهجه بعد وفاته مثل: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وغيرهم.

٥ – التركيز في هذه الفترة المكية، فترة التكوين على التربية الفردية، مع غرس قوة الإيمان والعقيدة في نفوسهم حتى أصبح الفرد الواحد منهم يعادل أمة بأكملها من قوة إيمانه ومدى تضحيته في سبيل الله وإعلاء كلمته.

٦ – توسيع مدارك عقول الرواد الأول بإرسال بعضهم إلى الحبشة مثل عثمان بن عفان وجعفر بن أبي طالب، والزبير بن العوام وغيرهم.

٧ – تنمية التفكير والمقارنة والاستفادة من الخبرات السابقة والتاريخ ومن سنن الله في خلقه وذلك بعرض القصص القرآنية عليهم ومعرفة مصير المؤمنين ومصير الكافرين.

٨ – اتخاذ القدوة الحسنة كأسلوب تربوي مع الاستعانة بالصبر والصلاة من أجل التكوين.

٩ – اتخاذ المجتمع مدرسة ككل للتعليم مع جعل دار الأرقم بن الأرقم أيضاً مدرسة ومحلاً لعقد القرارات التربوية الإسلامية اللازمة للتكوين من أجل التمكين فيما بعد مع الدعوة بالتي هي أحسن لنشر الإسلام.

١٠– إعطاء بعض الأحكام والأعمال الصالحة بصورة إجمالية وذلك تمهيداً لعرضها وتفصيلها في الفترة المدنية مع الاستفادة من التعليم بالتدرج كأصل هام في تثبيت التعليم وكأساس لبدء الأهم فالأهم.

١١– التمهيد للهجرة الكبرى هجرة المصطفى ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

وذلك باللقاءات المتكررة مع أهل المدينة وبإرسال بعض الصحابة إلى المدينة لتعليم المسلمين هناك قبل هجرته ﷺ.

١٢- التمهيد لصنع الأمة الإسلامية وتكوين الدولة الإسلامية المستقلة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ومنهجاً تربوياً فهي رائدة وليست تابعة.

١٣- التمهيد للاستفادة من خبرات الأمم المعاصرة الموجودة حولهم من أجل نشر الإسلام، ولكن الاستفادة تكون في ميدان الحكمة وليس في العقيدة كما حدث في حفر الخندق فيما بعد.

١٤- إعادة المسلمين إلى الفطرة السليمة فهم مفطورون على توحيد الخالق وعلى التدين وعلى محبة الناس ورعايتهم بالعدل وتعليم الإنسان ما فطر عليه أيسر لأن في ذلك جمع الشمل بخلاف الأمور التي تخالف الفطرة فهي تفرق شمله.

وكل ما سبق تم بفضل الله تعالى بإنزال آيات تتلى تبين المنهج التربوي، ورسول الله ﷺ يعلم تلك الآيات وينفذها في الواقع ليغرس ميدان العقيدة فيمن أسلم مع ربط العقيدة بتزكية النفوس وتعديل السلوك إلى مدارج الكمال وإلى ما يحبه الله ويرضاه وتربية نفوسهم لتصل إلى أعلى مراتب القرب من الله، فنفوس القوم أصبحت ملهمة بفضل الله ثم بفضل التربية الإسلامية الحكيمة من المعلم الأول رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾ [**الشمس**] فنفوسهم ملهمة تعرف طريق الخير، وطريق الشر، وألهمها الله بفضل إيمانهم به تعالى وبرسوله ﷺ ثم باتباعهم طريق الخير والتقوى واطمأنوا على ذلك حتى خاطب الله تلك النفوس الزكية ﴿ **يَا أَيَّتُهَا**

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [**الفجر**] ومع تكامل قوة الإيمان وعلو الأنفس كان يساند ذلك إعداد فكري من تعليم الكتاب وجعل أفكار هذا التعليم مقدمة على ما سواها من أشخاص وغيرهم من الأشياء وذلك ليتم الإعداد الوظيفي في ترابط بين هذه الطليعة القائدة.

إنه إعداد يستند على الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الشورى بين المسلمين لأخذ أصوب الآراء من أهل الخبرة والحكمة ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)** ﴾ [**القمر**] وبهذه الصفحة نختم الفصل الأول الذي يمثل التربية الإسلامية في عهد الرسول ﷺ في العهد المكي، وذلك مما فهمه الباحث نتيجة استقراء وتحليل مما استطاع الوصول إليه، كما يأمل أن يكون عمله مفيداً للقراء والمربين والباحثين، ويوضح بعض أسرار هذه الفترة الزمنية من التربية الإسلامية، التي تمثل بحق هي والتي تليها العهد المدني أفضل العصور والقرون في التاريخ الإنساني عامة، ونسأل الله الكريم أن يهدينا جميعاً سواء السبيل وأن يجنبنا الخطأ في القول والعمل وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم وأن ينفعنا بما علمنا، والحمد لله أولاً وآخراً، والآن نشرع بفضل الله تعالى في الفصل الثاني الذي يمثل العهد المدني في التربية الإسلامية

وبالله التوفيق.

الفصل الثاني

التربية الإسلامية في العهد المدني

- البيئة الاجتماعية التربوية في العهد المدني .
- الأصول التربوية الإسلامية في العهد المدني .
- العوامل المؤثرة في التربية الإسلامية في العصر النبوي .
- دور المرأة المسلمة في العهد المدني .
- نشر التربية الإسلامية خارج المدينة والتوجيهات النبوية فيها .
- الميادين التربوية الإسلامية في العهد المدني .
- خصائص التربية الإسلامية في العهد المدني .

البيئة الاجتماعية التربوية
في العهد المدني

كانت المعارضة للرسول ﷺ بمكة المكرمة عنيفة جداً وكان عليه الصلاة والسلام، يقابل تلك المعارضة والأذى، بالصبر والحكمة، وهذا منه ﷺ موقف تربوي، يهدي به الله من يشاء، وكذلك موقف سياسي، ليكسب الرأي العام، حيث هو راع للسلام والخير، وهؤلاء القوم يقابلون ذلك بالشتم والأذى له فأي الفريقين أحق بالاتباع.

وقد وجد أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة المكرمة أصنافاً من الأذى والتعذيب، حتى ألفوا على ذلك، فبلال يعذب وما يرد إلا بقوله: أحد، أحد[1] والأمر المهم هو طاعة الله ورسوله ﷺ وما سوى ذلك ليس بالأمر الجسيم حتى ولو تضررت أجسامهم من التعذيب وفي هذا موقف تربوي إنه لابد من ربط الإنسان بالفكرة التي يعتنقها، ويعمل من أجلها، وعلى أي حال فإن الفترة المكية قد أكسبت الصحابة قوة الاحتمال، والصبر، والتضحية من أجل طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وقد حصل لهم أيضاً ردود فعل عنيفة، تعادل تلك الشدائد التي واجهتهم بمكة المكرمة، وهذا مبدأ تربوي أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له، سواء كانت هذه الأفعال مادية أو معنوية، ظاهرة أو مكبوتة.

---

(١) سيرة ابن هشام، مرجع سابق، جـ١، ص٣٤٠.

لهذا نجد الحال يختلف بالنسبة للبيئة الاجتماعية بالمدينة عن البيئة الاجتماعية بمكة المكرمة ، ففي مكة كانت بداية الانطلاق للتربية الإسلامية، ومرحلة التبليغ والتكوين للأفراد، أما البيئة الاجتماعية، في المدينة المنورة فتمثل مرحلة التمكن والنضج وجني الثمار كنتائج للتربية الفردية التي تمت في العهد المكي، أي أن هناك في المدينة تربية للأمة ككل،وتربية للدولة المسلمة، إذ بهجرة الرسول ﷺ تكاملت العناصر اللازمة لنشوء الدولة الإسلامية، فالأنصار يتعطشون لرؤية المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وقدومه إليهم، والمهاجرون قد حصل لهم الإعداد الكامل، وهذا الإعداد يستمر معهم حتى نهاية حياتهم ويؤثر في الأجيال اللاحقة.

وأصبح لهؤلاء جميعاً اقليم لدولتهم هي المدينة المنورة، حيث يأمن المسلمون فيها، ويسيطرون على بعض مواردها الاقتصادية ، وقد اجتمع من في هذا الاقليم من المسلمين على هدف واحد هو الإسلام ونشره، والدعوة إلى اعتناقه، ومواجهة أعدائه، وأيضاً كلهم تحت قائد تربوي واحد هو رسول الله، فتحولوا إلى مجتمع إنساني سياسي يؤثر ويتأثر فيمن حوله[1].

وبقراءة القرآن، وما نزل منه بالمدينة المنورة ندرك تنوع السكان بالمدينة المنورة وهم الأنصار والمهاجرون واليهود كبني النضير وبني قريظة بالإضافة أنه قد جاء إلى بيئة المدينة بعض النصارى مثل وفد

---

(١) محمد سليم العوا، دستور المدينة والشورى النبوية، مجلة رسالة الخليج، العدد السادس عشر، السنة الخامسة عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٣١.

نجران الذي كان يريد أن يجادل في الدين الإسلامي [١] .

وكان أول ما نزل من القرآن الكريم بالمدينة المنورة سورة البقرة وفيها حديث طويل عن بني إسرائيل، ولعل الإكثار من ذكر بني إسرائيل في القرآن الكريم فيه لفت نظر إلى المسلمين للانتباه من هؤلاء القوم .

كما أن هناك إشارات واضحة في سورة آل عمران مع النصارى أما سورة المائدة فالحديث عن اليهود والنصارى يظهر بشكل واضح وهذا يتطلب من القائمين على التربية الإسلامية لفت النظر إلى الباحثين في هذا المجال لدراسة العلاقات الترابطية بين المسلمين واليهود والنصارى وما هي جوانب القوة وجوانب الضعف والاستفادة من سنن الله في خلقه حيث تنطلق تلك الدراسات من القرآن الكريم، وبفهم عميق وتحليل لحوادث الماضي والحاضر مع ما سوف يحدث من توقعات في المستقبل القريب والبعيد .

ولذا نجد الرسول ﷺ قد فهم البيئة الاجتماعية والواقع الذي كانت تعيشه هذه المدينة الخصبة الغنية ومدى صلة القبائل المقيمة فيها ومركز اليهود بها ومدى الطبيعة الواحدة، والطابع الموحد[٢] .

وما كانت الهجرة إلى الحبشة إلا إعداداً للطليعة الأولى من المسلمين للبيئة الاجتماعية بالمدينة المنورة .

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام عمل على المؤاخاة بين

---

(١) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٢٠٦ .

(٢) أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص١٤٥ .

المهاجرين والأنصار فحدث بذلك فكرة الإيواء للمسلمين في مكان واحد، وكانت المؤاساة وكل ذلك استعداداً لما سيقع في المستقبل من طوائف غير المسلمين (١) .

كما كتب رسول الله ﷺ كتاباً يسمى دستوراً للمدينة . وهذا الكتاب يوضح علاقتهم مع اليهود والمجاورين لهم (٢) .

ولعل فعل الرسول السابق يدل على أنه لابد من الاستفادةمن البيئة الاجتماعية والعمل على تنظيمها، كما أنه لا مانع من صياغة أنظمة تحدد علاقة الناس ببعضهم البعض، ما دامت تلك الأنظمة من منطلقات الشريعة الإسلامية .

وظهرت في البيئة الاجتماعية بالمدينة طائفة لا عهد للمسلمين بها في مكة المكرمة وهي طائفة المنافقين وهذه الطائفة أخطر ما تكون على الإسلام قال تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨)** ﴾ [**البقرة**] .

لذا نجد التربية الإسلامية لا تهمل دور البيئة فهي تراعي ذلك من جميع النواحي . وأي تربية ليس لها صدى في الواقع تعتبر تربية جوفاء ولا قيمة لها بل هي كأحلام اليقظة لذا نجد سورة التوبة أعطت صورة واضحة عن البيئة الاجتماعية، وعلاقة المسلمين مع غيرهم، وما هي التدابير اللازمة لتلك العلاقة، وما مدى دور التزكية والحكمة في التربية الإسلامية ومساهمتها في إصلاح البيئة الاجتماعية وهو إن شاء الله سوف نوضحه فيما بعد، في مكانه المناسب من الدراسة .

---

(١) ابو الحسن الندوي، السيرة النبويه ص١٦٦ .

(٢) المرجع السابق، ص١٦٧ .

الأصول التربوية الإسلامية في العهد المدني

إن أول ما نزل بالمدينة المنورة من القرآن الكريم سورة البقرة ثم سورة الأنفال ثم سورة آل عمران ثم سورة الأحزاب كما أن آخر مانزل من القرآن الكريم سورة التوبة(١) أما آخر آيات القرآن نزولاً فهو قوله تعالى ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** ﴾ [**المائدة**: ٣] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين .. آية في كتابكم تقرأُونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لا تخذنا ذلك اليوم عيداً .. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة (٢).

وقالوا لم ينزل بعد هذه الآية من الفرائض ولا تحليل شئ ولا تحريمه وأنه عليه الصلاة والسلام لم يعش بعد نزولها إلا إحدى وثمانين ليلة وروي ذلك عن ابن عباس والسدي وابن جريج، وروى النيسابوري في تفسيره عن ابن عباس أنه قرأ هذه الاية ومعه يهودي، فقال اليهودي لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيدا؛ فقال ابن عباس: إنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد، في يوم جمعة وافق يوم عرفة(٣)، وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال آخر مانزل من

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، جـ١، ص١٩٤.

(٢) صحيح البخاري، جـ١، ص١٦. كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقائصه.

(٣) محمد الخضري، تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص٧، ٨.

القرآن كله ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١)** ﴾ [**البقرة**]وعاش النبي بعد نزول هذه الآية تسع ليال وقد أورد السيوطي عدة روايات في آخر ما نزل ثم جمع بينها ثم رجح الآية السابقة آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاء المستلزم لخاتمة النزول[(١)] .

والباحث يدرك عند قراءة ما نزل بالمدينة المنورة، من القرآن الكريم، إمكانية استنتاج أن هناك أصولاً تربوية إسلامية تركز عليها تلك السور المدنية ومن هذه الأصول التربوية الإسلامية في العهد المدني الآتي :

١- التمكن من التعليم واستمراريته، ونضج التعلم الذاتي عند المسلمين :

ويستدل على ذلك من الآيات المدنية التي فصلت ما كان مجملاً من الأحكام للعمل بها بعد تمكن المسلمين من دينهم فأخذوا يعملون بما جاء في القرآن طواعية من أنفسهم ويتعلمون ذلك تعلماً ذاتياً مستمراً ويعلم السلف الخلف، طاعة لله، وبالنية الخالصة له سبحانه وتعالى قال عز وجل ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)** ﴾ [**الإسراء**] فقد فصلت السور المدنية ما أجمل من التشريعات وما فرض من الحدود وكيفية توزيع الزكاة وذلك بتوضيح الرسول لتلك الأحكام بسنته وعمله وقوله وايضاً توزيع التركة قال تعالى ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي**

(١) أ – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، جـ١، ص٢٧، ٢٨ .
ب – الزركشي، البرهان، جـ١، مرجع سابق، ٢٠٩ .

الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ [**النساء**: ١٧٦]وايضاً فصلت أحكام الصلاة التي فرضت في العهد المكي،وأيضاً في العهد المدني فرض الحج والصيام والجهاد وفصلت أحكامها ، وحرم الخمر تحريماً نهائياً وطهرت البيئة من الأوثان، وكسرت الأصنام في عام الفتح في السنة الثامنة من الهجرة .

وكان هذا الأصل ثمرة من ثمرات غرس العقيدة، واستمرارية تقويتها، والاستفادة من الخبرات السابقة والقصص القرآني، والاستفادة من التدرج في التعلم، بمعرفة قدرات المتعلم والبدء معه بالأهم فالمهم، ومن السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول قال تعالى :﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١)** ﴾ [**الحج**]

٢- التربية الداخلية أي محاسبة النفس :

ويظهر هذا الأصل من خلال التطهير التربوي داخل الأمة الإسلامية، ومحاسبة النفس أولاً، ويشمل هذا الأصل فضح المنافقين، وكشف أسرارهم، وكيفية علاجهم، وتحبيب الإيمان لهم، والصبر عليهم، والحذر منهم، وأننا نلمح جميع الأمور السابقة فيما نزل من القرآن في العهد المدني وفى سنة المصطفى ﷺ في ذلك العهد .

قال تعالى ﴿ **وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)** ﴾ [**التوبة**]وغير ذلك من الآيات التي تكشف أسرار المنافقين وأنهم داخل جسم الأمة الإسلامية، ومن واجب التربية الإسلامية معالجة هذه الحالة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣- التربية الخارجية :

أي الاستفادة من خبرات الأمم الأخرى المعاصرة فى غير أمور العقيدة، وبمعنى آخر كيفية الانفتاح على خبرات الآخرين والاتصال بهم ومدى الاستفادة منهم، في إطار الشريعة الإسلامية.

ففى الآيات المدنية مناقشة الأديان، والرد على اليهود والنصارى، وقد كان اليهود يؤلفون طائفة من سكان المدينة، وكان هناك اعتراضات ومسائل ومناقشة من اليهود والنصارى وترد عليهم الآيات المدنية بخلاف الآيات المكية والتي تركز على خبرات وقصص وتاريخ الأمم الماضية، ولذا فإن التربية الإسلامية تجعل من الاستفادة من الخبرات الماضية أصل من أصولها كما مر سابقاً فى العهد المكي، وتجعل من الاستفادة من خبرات الأمم المعاصرة أصل من أصولها أيضاً، فتستفيد من حيث المناقشة والمقارنة لإظهار الحق، كما أنها تستفيد من الحكمة، والحكمة ضالة المؤمن يأخذ بها أنى وجدها ومن أي وعاء خرجت، كما في حفر الخندق الذي أشار به سلمان الفارسي في غزوة الأحزاب، وهذه المجادلة مع الكفار من اليهود والنصارى تكون بالتى هي أحسن عسى أن يهتدوا،والتربية الإسلامية تنظر إلى جميع الناس أنهم أمة دعوة؛ تدعوهم إلى الإسلام من أسلم وآمن بها سُمي من المؤمنين والمسلمين، ومن جحدها ورفضها سُمي من الكافرين، كما مرّ معنا في العهد المكي؛ قال تعالى﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** ﴾ [**آل عمران**] .

ولذا فإن من واجب القائمين على التربية الإسلامية تبليغها إلى

غيرهم من الأمم والتمسك بمبدأ العدل معهم وحتى مع المخالف لهم . عدل في الماديات والمعنويات على سواء وأيضاً الاستفادة من غيرهم فيما لا يضر عقيدتهم قال تعالى ﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)** ﴾ [**المائدة**] .

ومن كل ما تقدم لا تمانع التربية الإسلامية من الاستفادة من خبرات الآخرين من غير المسلمين، مع وجوب الدعوة إلى الإسلام لعل الله ينقذ بهذه الدعوة أناساً من بني آدم عليه السلام وهذه رحمة من الله الغني عن العالمين .

وهذه الأصول المستنتجة من القرآن والسنة في العهد المكي وفي العهد المدني هي كلها تدخل في إطار أصول الإسلام الثلاثة : وهي معرفة العبد ربه تعالى ودينه الإسلام ونبيه محمد ﷺ وهي من وجهة نظري تمثل أصول التربية الإسلامية وتوضح هذه الأصول سنةُ المصطفى وأصحابه من بعده رضي الله عنهم، وكل من جاء بعد العصر النبوي لا يخرج عن تلك الأصول للتربية الإسلامية، ولكن ما يميز التربية الإسلامية في العهد النبوي أن تلك الأصول الإسلامية متكاملة فيما بينها مرتبطة مع ميادين التربية الإسلامية وكأنها في قالب واحد متماسك تؤخذ ككل ولا تؤخذ جزئياً، حيث تمثل تحقيق العبودية لله تعالى في الحياة الفردية، والحياة الاجتماعية، والسعي للفوز بالجنة، والنجاة من النار، الهدف السامي، الذي يسعى إليه المسلمون بكل قوة، وعزم، وبتربية صحيحة .

العوامل المؤثرة فى التربية الإسلامية في العصر النبوي

هناك مسلمات في التربية أن أي عمل يؤثر في آدائه طبيعة العمل نفسه، وخصائص الذين سوف يقومون بهذا العمل، ثم الظروف المحيطة بالعمل نفسه وبمن يقومون به، وذلك بعد توفيق الله سبحانه وتعالى. ولعل الأفكار الآتية تكشف لنا بعض أسرار نجاح التربية الإسلامية في العصر النبوي وهي :

١- تكامل الأصول الإسلامية وميادينها في المجتمع الإسلامي

هذا التكامل يبُنى عليه الفروع لكي تستقيم حياة المسلمين على عقيدة قوية تستفيد من خبرة ماضية ومعاصرة، تفيد الحياة الدنيا وتكون في إطار الشريعة الإسلامية، متدرجة في الإصلاح الداخلي والعلاقات الخارجية، وكل ذلك في إطار التعليم الإسلامي، وبحكمة وتطهير النفوس مع الاستفادة من اجتهادات العقل الإنساني ما دام في إطار مصادر التربية الإسلامية .

وقد أورد الشيخ الكتاني عن الحافظ ابن عبد البر عن قول عليّ كرّم الله وجهه : « قيمة كل امرئ ما يحسنه » فقال معنى ذلك أي أنه لم يسبقه إليه أحد ثم قال: وأي كلمة أحض على طلب العلم منها، ثم قال رحمه الله : وما كان أحض بالعلم وبالعلماء والمتعلمين من قول القائل : « ما ترك الأول للآخر شيئاً »[١] أي أنه حاول تغطية

(١) عبدالحيي الكتاني: نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، جـ١، بيروت: دار الكتاب العربي، ص٧٨ -٧٩.

العمل من جوانبه جميعهاً . ومن هنا ندرك أن من أساليب التربية عن النبي ﷺ الشورى وقد أمره الله بها في أشد المواقف وأصعبها حرجاً في أعقاب غزوة أصاب الكفار فيها المسلمين مالم يصيبوه منهم قبلها ولا بعدها في عهده عليه الصلاة والسلام وهي غزوة أحد[1] قال تعالى ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [**آل عمران**: ١٥٩] .

هذا هو المعلم رسول الله ﷺ : لين الجانب رحيم، رقيق القلب، حليم، كثير العفو، لا يغضب من أجل نفسه بل يسامح ويستغفر للمسيئ، ما أعظمها من صفات، وأعظم بصاحبها،ومع هذا كله يشاور أصحابه في الأمر، وهو المؤيد من الله، والوحي ينزل عليه ومن هنا لاغنى لأي مرب من الاستفادة بقدر الإمكان من أهل الخبرة، وأُولي الألباب وأهل الرأي السليم، ليتم التكامل بين المسلمين وتنشيط عقولهم، وفي الآية إشارة إلى أهمية الصحابة وأنهم من أُولي الألباب، وأيضاً مدى منزلتهم عند الله تعالى، حيث أمر خير خلقه بمشاورتهم، واحترام رأيهم وليكون ذلك سنة لمن بعدهم، وكل هذا يستنتج منه اتقان العمل، والنظر إليه من جوانبه جميعها بحسب الاستطاعة وما يمكن الوصول إليه والقيام بعمله كما كان في عهد الصحابة رضي الله عنهم .

---

(١) محمد سليم العوا، دستور المدينة والشورى النبوية، مرجع سابق، ص١٤٣ .

٢- الربط بين الهدف والسلوك

القصد من التربية الإسلامية، معرفة الله وتوحيده، ثم كيفية آداء عبادته، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحلي بالآداب الفاضلة والأخلاق الحميدة مع وضع الأنظمة في المعاملات، والتي تعطي كل إنسان حقه مع إيقاف المعتدي عند حده، حتى لا يختل النظام الاجتماعي،وهذه الأمور السابقة هي التي من أجلها شرّعت الشرائع السماوية [(١)].

فسلوك النبي وأصحابه هو يمثل التطبيق السليم للأمور السابقة، وكلها من أجل ابتغاء مرضاة الله ولأجل نشر الإسلام ومحاربة أعدائه،فكان الصحابة يدركون الهدف الذي يجب أن يعمل سلوكهم على تحقيقه، لذا نجد أن التربية الإسلامية تلزم المعلم أن يحدد أهدافه، بحيث يدركها المتعلمون على حسب مستوياتهم. وكلما كانت الأهداف واضحة ومحددة كلما تيسر انجاز العمل وتحصيل التعلّم بفضل الله تعالى وبذلك يكون المعلم أكثر عطاءً ، ويكون المتعلم أكثر تحصيلاً.

٣- النضج:

لقد استمرت فترة التكوين في العهد المكي من قبل الرسول لأصحابه حوالي ثلاث عشرة سنة، وقد وجدوا في هذه الفترة التعذيب من الأعداء، بالإضافة إلى مافهموا من الهجرةوأيضاً ما سمعوه من اليهود والنصارى وغيرهم، كل الأمور السابقة ساعدت

(١) علي أحمد الجرجاوي : حكمة التشريع وفلسفته، جـ١، ص٧.

على نضجهم في جميع مجالات الحياة، مما أدى هذا بدوره إلى ظهور التربية الإسلامية ونجاحها، ومن هنا نجد أن التربية الإسلامية تُراعى عملية النضج عند المتعلم ليحصل التَّعلم وهو ماتدعو إليه التربية الآن، حيث لابد من مراعاة المستوى العلمي عند المتعلم، فلا يكلف الدّارس فوق طاقته.

٤- الوراثة

ولقد سبق أن تحدثنا عن هذا العامل الذي راعته التربية الإسلامية، ومما ذكرنا أن رسول الله ﷺ ومعظم رواد التربية الإسلامية هم من نسل إبراهيم عليه السلام وهو من الشام، وهم من أولاد هاجر من مصر وقد تمت المصاهرة بين ذرية إبراهيم عليه السلام وقبيلة جرهم من اليمن(*) كما ذكرت هذه الدراسة سابقاً، لذا فقد اختلط الدم الشامي بالمصري وباليمني في الجزيرة العربية وأنجب بإرادة الله اولئك القادة الأذكياء، والعامل الوراثي له دور كبير في التعلم والتحصيل والإصلاح، ولذا تدعو التربية الإسلامية إلى حسن الاختيار للزوج والزوجة ويكون ذلك على أساس الدين والتقوى والأخلاق الحميدة، وهذا الأساس أكثر بقاء واستمراراً حسناً في الدنيا والآخرة .

٥- المثيرات :

لقى الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه أشد العذاب من مشركي سكان مكة المكرمة، بالإضافة إلى تكبر وزهو أصحاب

(*) حيث تزوج سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام من قبيلة جرهم من اليمن، عندما هاجرت هذه القبيلة إلى مكة المكرمة، والناس كلهم أولاد آدم عليه السلام وأكرمهم عند الله تعالى أتقاهم.

الأموال والجاه والأولاد، مع مصادرة بعض أموال المهاجرين من الصحابة، ولكن مع ما سبق تمر قوافل المشركين على مسمع من المسلمين بالمدينة المنورة، أليس هذا مثيراً لهؤلاء الصحابة الصابرين المظلومين إلى تحقيق أهداف الإسلام، ونشر دين الله تعالى، بالإضافة إلى أخذ ثأرهم من عدوهم وعدو الله تعالى .

لهذه الأسباب وغيرها قامت غزوة بدر وما فيها من دروس تربوية من تشاور وعدم الفخر والشماتة بالأعداء، ولكن إرجاع الأمر لله تعالى، وأن النصر من عنده عز وجل، وتقواه مفتاح لنصره، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)** ﴾ [**النحل**] ومن يكن الله معه فالنصر له .

ولذا نجد أن التربية الإسلامية لا تهمل المثيرات بشتى أنواعها وذلك لتهيئة ذهن المتعلم وجعله في حالة من الاستعداد،ويكون التعلم أفضل ما يكون إذا كان المتعلم في حالة استعداد قوي مع وجود نمط من المثيرات القوية المناسبة وهذا حسب تصوري وفهمي لدراسة بعض المبادئ التي تدعو إليها نظريات التعلم، لذا فقد راعت التربية الإسلامية أهمية الاستعداد والمثيرات المناسبة لكي يحصل التعلم ولكي تتحقق الأهداف المرجوة من التربية .

٦- الحوافز

عرف المسلمون جزاء من يُسلم لله تعالى، وجزاء من يكفر به عز وجل، قال تعالى ﴿ **مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)** ﴾ [**الروم**] فنجد الحافز في التربية الإسلامية واضحاً،

فإذا كان هو إمكانية إشباع الدافع، فالإنسان في نفسه دافع، قد يدفعه إلى الخير وقد يدفعه إلى الشر، وإمكانية الحصول على الخير ميسر، وهنا يكون الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر وما يتصل بهذا الإيمان أفضل الحوافز التي تؤدي إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة .

ولذا نجد التربية الإسلامية تخاطب الناس جميعاً في الكثير من الآيات، يقول الله تعالى «**يا أيها الناس** . . .» وهذا النداء يشمل جميع بني آدم لكي يسلموا ويحصلوا على الخير الميسر طريقه لمن يشاء ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [**الإنسان**: ٣٠]ولهذا نجد التربية الإسلامية تراعي الحوافز في عملية التعلم لأنها تمثل تحقيق أهداف دوافعهم، حيث إنَّ الدافع كما أفهمه من خلال خبرتي التربوية: هو مثير داخلي يحرك سلوك الفرد ويوجهه لتحقيق هدف معين، بينما الحافز حسب ما أفهمه تربوياً هو إمكانية إشباع الدافع وتحقيق ما يهدف إليه الإنسان، ولكن كل ذلك في إطار العقيدة والتربية الصحيحة.

دور المراة المسلمة في العهد المدني

هناك الكثير من الصحابيات رضي الله عنهن لهن دور كبير في صنع الرجال ونشر التربية الإسلامية.

وسنذكر في هذه الصفحات طرفاً من ذلك للتمثيل وليس للحصر، لأن هذا الموضوع يصلح كموضوع مستقل بذاته، وقد ذكرنا في العهد المكي أن أول من آمن بالرسول ﷺ هي السيدة خديجة، وفي هذا إشارة إلى أهمية المرأة في الإسلام منذ فترة التكوين الأولى، كما أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها هي رابع المكثرين من رواة الحديث بصفة عامة، كما أنها تعتبر في الدرجة الثانية بعد أبي هريرة في كثرة ماروت من أحاديث في الكتب الستة والتي تعتبر المصادر الأساسية فى السنة الشريفة[١].

كما أن أم المؤمنين أم سلمة لها من المواقف العظيمة ما لا يحصى ومن ذلك فقد كان لها موقف عظيم في صلح الحديبية، فقد استشارها عليه الصلاة والسلام فيما يصنع بأصحابه الذين تباطأوا في تنفيذ أمره لهم بالحلق أو التقصير وذبح الهدي بعد إمضاء الصلح فرأت رضي الله عنها أن يبدأ بنفسه أولاً فعمل عليه الصلاة والسلام كما أشارت إليه زوجته فحلق وذبح وعندما رأوه الصحابة تدافع الجميع في صنع ما صنع رسول الله ﷺ[٢].

---

(١) أبو داود سليمان السجستاني، مسند عائشة رضي الله عنها، تحقيق عبدالغفور حسين، الكويت، دار الأقصى، ١٤٠٥هـ، ص٤٣.

(٢) عمر بن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، من مطبوعات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، جـ١، ص٤٦٩

وفي ذلك إشارة تربوية إلى القدوة والتنفيذ العملي من المعلم أمام من يعلمهم لكي يقتدوا به ويعرفوا جدية الأمر، كما أن في ذلك أهمية الشورى وتبادل الآراء في التربية الإسلامية وأن المرأة لها دور في ذلك مثل الرجل .

ومن هنا نجد التربية الإسلامية تدعو إلى تكامل دور المرأة والرجل في المجتمع الإسلامي لتحقيق الهدف الأسمى من التربية المتمثل في عبادة الله وطاعة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ونشر الدين الصحيح عند الله تعالى وهو الدين الإسلامي بالقول والعمل ، قال تعالى ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [**آل عمران** : ١٩] .

كما أن موقع الشورى في التربية مبدأ أساسي يشمل الجميع وقد مدح الله تعالى بهذا المسلمين وهم بمكة المكرمة في مرحلة التكوين ولم تقم لهم دولة يومئذ قال تعالى ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [**الشورى** : ٣٨]والشورى من صفات الطليعة الأولى من المسلمين ثم استمرت معهم طيلة حياتهم يتصفون بها ويربون الناس عليها طاعة لله ولرسوله ﷺ إذ يقول أبو هريرة رضي الله عنه :« ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ »[1] .

فكان المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة في تكامل تحترم فيه الآراء من الجميع رجالاً ونساء فقد ساهمت المرأة في خدمة الرسول ﷺ كالرجل فقد قامت أم أيمن بخدمته عليه الصلاة والسلام وكانت تتشرف بخدمة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

---

(١) سنن الترمذي، ج٣، ١٢٩، باب ما جاء في المشورة .

لأن في خدمته فوائد كثيرة منها تلقي التربية الإسلامية منه بالملازمة والمعايشة فيتم الاقتداء به في أكله ونومه، وشرحه وكلامه وكيفية تعامله(١) مع أهله وذلك لأن التربية الإسلامية واقعية تعد الإنسان لكي يحيا حياة سعيدة في الدنيا، ولكي يحصل على حياة أفضل هي الآخرة .

وهي تربية تُهيِيءُ الظروف لواقع الإنسان ومستقبله لذا فقد أجاز النبي ﷺ أمان المرأة فقد قال علية الصلاة والسلام «**فقد أجرنا مَنْ أجرت يا أم هانيء**» وأم هانيء هي أخت علي بن أبي طالب وقد أجارت مشركاً استجار بها(٢) .

ولذا نجد أن مكانة المرأة في عهده ﷺ بارزة فهي لها أمان كما للرجل، ولها جاه كما له سواء في الحرب أو في السلم، وهذا يدل على أن التربية الإسلامية استفادت من المرأة ونشاطها، ولم تكن المرأة خاملة لا نشاط لها، حتى إنهن طلبن من الرسول ﷺ أن يجعل لهن يوماً .

ونتيجة لنشاط المرأة برز الكثير منهن فهذه أم سليمان بن أبي حتمة تعلم الكتابة للنساء وممن تعلمن على يدها حفصة زوجة النبي ﷺ(٣)، وأم المؤمنين رضي الله عنها، وهذه أم سليم الصحابية الجليلة، وما أدراك ما أم سليم قد أفرد لها الكثير من رجال التربية كتباً لوحدها، ولدورها التربوي ومن مواقفها التربوية الرائعة ما اختارته لابنها أنس عندما قدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة فلقد

---

(١) عبدالحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية جـ١، ص٢٨ – ٣٠ .

(٢) محمد سليم العوا، دستور المدينة ، مرجع سابق، ص١٣٩ .

(٣) أبو الحسن الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، مرجع سابق، ص٧١ .

أخذت بيده وأتت به رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله هذا أنس ابني يخدمك وهو غلام كاتب وكان عمره ابن عشر سنين، رضي الله عنه، وجاءت يوماً إلى رسول لله ﷺ وقالت يارسول الله خويدمك أنس ادع الله له فقال ﷺ اللهم أكثر ماله وولده واطل عمره واغفر ذنبه وقد خدم أنس الرسول حتى لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى. وقد تحققت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام لأنس رضي الله عنه.

من هذه القصة ندرك بُعد نظر وحنان وحرص هذه الأم على الخير وانتهاز الفرص[١] وإن هذا لهو قمة في حسن الاختيار لقد اختارت لابنها أفضل معلم هو رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار فيسقين الجرحى بالماء ويعملن على مداواتهم، وقد أخرج البخاري بسند متصل عن أنس رضي الله عنه أنه قال «ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما[*] تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم[٢].

ولعل الحديث السابق يوضح لنا دور المرأة ومدى اشتراكها في مساعدة معالجة المصابين في الحرب وهذا لايمنع من أن تساعد المرأة المحاربين مادام ذلك في طاعة الله ورسوله ﷺ، وفي إطار العقيدة الإسلامية، وإن أم سليم عندما تقدم أبو طلحة لخطبتها كان قبل

(١) محمد لطفي الصباغ، أم سليم، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص٢١.

(*) أي خلخال.

(٢) ابن حجر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، جـ٧، ص١٢٨.

إسلامه اشترطت عليه أن يكون مهرها الإسلام أي أن يسلم وكان أبو طلحة رجلاً عاقلاً فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه[(١)] .

وما قيل سابقاً سواء في العهد المكي أو المدني عن دور المرأة في الإسلام في التربية الإسلامية ماهو إلا على سبيل التمثيل لا الحصر، لأنني كما ذكرت أن هذا الموضوع يصلح لأن يكون موضوعاً لرسالة دكتوراة في مجال التربية الإسلامية .

---

(١) أ – ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٧، ص١٤٠ .
ب – محمد لطفي الصباغ، أم سليم، مرجع سابق، ص١١ .



نشر التربية الإسلامية خارج المدينة والتوجيهات النبوية فيها

كان عليه الصلاة والسلام يختار من أعلم الصحابة ويرسلهم إلى الأمصار لتعليم الناس ومن هؤلاء المعلمين معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد أخرج البخاري بسند متصل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال :« **سمعت رسول الله ﷺ يقول : استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأُبي ومعاذ** »[1] .

ولهذا نجد الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل معاذاً إلى اليمن[2] ، ومع علمه فقد اختبره عليه الصلاة والسلام كيف يحكم بين الناس وقد وضّح له معاذ ذلك أنه يحكم بالقرآن والسنة، وإن لم يجد فيها يجتهد برأيه، ويتحرى العدل، والمسلم عدل لأن عمله لله ويرجو الثواب من الله سبحانه وتعالى، ولهذا يستبعد تعمد الظلم ممن كان يرجو ثواب الله ونيل رضاه سبحانه وتعالى .

وبعد أن عرف رسول الله ﷺ مدى سعة علم معاذ ومدى قوة ذكائه وإنه من أفضل من يبلغ ما تدعو إليه التربية الإسلامية دعا الله له وأن يحفظه من بين يديه ومن خلفه وأن يدرأ عنه شرور الإنس والجن ثم أمره أن يحسن خُلقُه مع الناس[3] .

---

(١) فتح الباري، جـ ٧، ص١٢٤، كتاب مناقب الأنصار باب ١٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١٢٤ .

(٣) أ – سيف الدين الكاتب، معاذ بن جبل الصحابي الجليل بيروت: مؤسسة عز الدين، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص٣٦ .
ب – الخزاعي، كتاب الدلالات السمعية، ص٢٦٥ .

ومن توجيهات الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل نجد أنه يأمره بحسن الأخلاق والأخلاق ملازمة للتربية فعندما تسمع كلمة تربية فإن أول ما يتبادر إلى الذهن السلوك الاجتماعى الفاضل، والخلق الحسن، وهما يصدران من المعاملة الحسنة، والدين الإسلامى هو دين المعاملة الطيبة قال تعالى :﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)** ﴾ [**الإسراء**].

هذا التصور من معاذ في كيفية حكمه بين الناس ينبع من قوة إيمانه بالله والتمسك بما أمر الله به في جميع شؤون الحياة لأن هذه الأمور تملأ نفسه بالسكينة وتطبع شخصيته بالاستقرار وتكون حياته مطمئنة يشعر أنه تحت رعاية وتربية رب قادر لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء، يحاسب كلا بعمله وليس لفرد أو طائفة ميزة أو وساطة بين الله تعالى وخلقه بل الله أقرب إليهم من حبل الوريد قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)** ﴾ [**ق**] فبصدق الإيمان كانت تربية معاذ بن جبل صادقة استفاد منها أهل اليمن في طريقة كيفية القضاء بين الناس، ونشر الأخلاق الفاضلة بينهم .

وقد أرسل الرسول ﷺ الصحابي الجليل عمرو بن حزام إلى أهل نجران ليعلمهم القرآن ويأخذ الزكاة منهم كما شرعت في القرآن الكريم، وبينتها السنة الشريفة، فكان من خيرة المعلمين لأهل نجران على الرغم من صغر سنه ولكن عقله كبير وهو أحد خريجي مدرسة النبوة(١)، كما استعمل الرسولﷺ الصحابي الجليل عتابّ بن أسيد

(١) الخزاعي، كتاب الدلالات السمعية، مرجع سابق، ص٦٧.

على سكان مكة المكرمة فكان شـديداً على الظالم ليناً على المؤمن، وكان يرجو من عمله طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ[1] .

ولقـد بعث رسـول الله ﷺ عليـاً رضي الله عنه إلى اليـمن وهو شاب ليقضي بين الناس هناك فقال له رسول الله موصياً إياه «**إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء**»[2] . فمن توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام لسيدنا علي رضي الله عنه: أن يعطى الفرصة لمن يقضي بينهم أو من يعلمهم وفي هذا مبدأ تربوي هام وهو إتاحة تكافؤ الفرص لجميع المتعلمين دون تفضيل بعضهم على بعض في طريقة التعليم وهذا المبدأ أساس لإصلاح المجتمعات، إذ يجب أن يسود فيها مبدأ تكافؤ الفرص للجميع، ومن هنا كان من وظائف التربية الإسلامي غرس هذا المبدأ فى نفوس المسلمين فالكل فى نظر الإسلام سواسية وإنما أكرمهم هو أتقاهم لله تعالى ومن أهم ماتدعو إليه التربية الإسلامية هو ايقاظ الضمير فى نفس المؤمن وإنه محاسب على عمله فكان الرسول ﷺ يربى ضمائر المؤمنين لكي تخاف الله تعالى وحده، فتأخذ مالها وتعطى ماعليها ومن ذلك ماذكره الإمام مالك بن أنس رحمه الله بسند متصل عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ أنها قالت : قال رسول الله ﷺ«**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن**

---

(١) الخزاعي، المرجع السابق، ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٤ .

قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذنّ منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار»[1].

ومعنى كلمة ألحن أي أبلغ وأعلم وأفصح من خصمه ومعنى قضيت له أي بحسب الظاهر كما يظهر للقاضي وهو ليس كذلك فى الباطن.

فكانت التربية الإسلامية تربي وتوجه الذين ينشرون الإسلام بغرس الإسلام فى نفوس الناس فإنهم إن آمنوا حقاً صلحت الدنيا فلا يحصل الظلم ولا الغش لأن من غش المسلمين فليس منهم، ومن هنا نستنتج أنه ينبغي على معلم التربية الإسلامية، غرس فضائل الإسلام فى نفوس المتعلمين لأن ذلك يساعد على تربيتهم وتعديل سلوكهم إلى مايحبه الله ويرضاه.

---

(١) مالك بن أنس، الموطأ رواية ابن القاسم وتلخيص القابسي، تحقيق محمد المالكي، جدة دار الشروق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٤٩٢ رقم الحديث ٤٧٨.

الميادين التربوية الإسلامية
في العهد المدني

١- ميدان العقيدة في التربية الإسلامية

لقد تحدثنا عن هذا الميدان في العهد المكي وقد غرس الرسول ﷺ قوة العقيدة في أصحابه بتلاوة آيات الله عليهم مع توضيحها فكانت بعض الآيات تعطي صوراً واضحة لاستحضار ومشاهدة الآخرة ﴿ **وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)** ﴾[**التكوير**].

فكانت هذه الآيات تؤثر في النفوس وتزيدها إيماناً، كما أن التربية الإسلامية استغلت مظاهر الكون في غرس العقيدة ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)** ﴾ [**التكوير**].

ومن هنا نجد أن التربية الإسلامية اتخذت عدة اتجاهات في غرس الإيمان وذلك بربطه بالآخرة وتخيّل مشاهدة القيامة واستحضارها مع إستغلال الكون والبيئة المحيطة؛ ونتيجة لا ستمرارية بناء العقيدة في هذا الميدان التربوي نضيف عليه في العهد المدني ما يأتي من الأفكار التربوية، زيادة في التوضيح، وكما هو معلوم فإن الإيمان يزيد وينقص قال تعالى﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** ﴾[**المدثر** :٣١] .

إن التربية الإسلامية، تأخذ من ميدان العقيدة منطلقاً لأعمال

العقل البشري في إظهار دقائق الإسلام وربطها بالحياة[١]، ومن هذا الميدان تستمد التربية الدعم الصائب بالحجج والبراهين والرد على المبادئ الدخيلة على الفطرة، كما يعطى مجالاً واسعاً في الموازنة بين التربية الإسلامية وغيرها من التربيات الأخرى هذه الموازنة لا تعصب فيها، ولكن لإخراج الحق ولنفع الإنسانية كلها، وما الإنسانية كلها إلا من ذرية آدم عليه السلام، وهذه الموازنة لا تعني مقارنة الحق بالباطل وإنما هدفها إظهار الحق، لأن الحق أحق أن يتبع .

وإن تلاوة آيات الله تعني الوحي وهو دعامة البناء النفسي والاجتماعي للأمة الإسلامية، إذ تجعل الولاء لله وحده، والله هو الغني ولكن الإنسان هو المحتاج إلى إخلاص هذا الولاء إلى الله الكريم، والأمم على وجه الأرض تنقسم في تربيتها إلى ثلاثة أقسام :

(أ) أمم ترفض الوحي، فهي ملحدة، وحرمت نفسها من كلام خالقها، وهو الذي أعلم بحالها فأوحى لرسله ما يصلح خلقه وبدون مقابل بل يضاعف الثواب لمن أجاب ويحاسب المسيء بقدر ما أساء ومن هنا نجد التربية الإسلامية تقدم الثواب للمطيع قبل العقاب للعاصي، وتفسح المجال للعاصي بالتوبة والغفران، قال تعالى ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)** ﴾ [**الزمر**] .

(ب) وأمم تقوم على وحي مزور ومشوب بالأباطيل، وهذا يخالف

---

(١) عابد توفيق الهاشمي، طرق تدريس التربية الإسلامية، دمشق: دار ابن كثير، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٢٩٨ .

العقل السليم والعلم الصحيح، والموضوعية والاستقامة على الحق وهؤلاء مثل الذين يتبعون الآن الانجيل والتوراة المحرفة .

(جـ) أمة الإسلام وأساسها الوحي الحق، القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل لامن بين يديه ولامن خلفه[١] قال تعالى ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (٩) ﴾ [**الحجر**] .

وقد حفظ الله عز وجل القرآن الكريم كما حفظ سبحانه وتعالى السنة الشريفة لأنها شارحة للقرآن وقد وصلتنا السنة بسند متصل من الرجال العدول أهل الضبط التام الذين لا يريدون بعلمهم إلا وجه الله تعالى، فميدان العقيدة في التربية الإسلامية يمثل الأساس والأصل الأول سواء كان بذاته أو مع غيره وقد قال أحد العلماء إن أصول الدين وقواعده ثلاثة توحيد الله تعالى وإثبات الرسالة لرسوله ﷺ ، وإثبات المعاد والجزاء[٢] وقد جعلنا تلك الأصول الثلاثة هي الأصل الأول من أصول التربية الإسلامية والتي سبق شرحها لأن توحيد الله لا يكون إلا بالتصديق برسالة الرسول ﷺ والإيمان باليوم الآخر وبجميع أركان الإيمان الستة؛ وكما هو معلوم أن العمل لا يقبل إلا إذا كان لله وحده وعلى سنة المصطفى ﷺ ؛ لذا فمن أعظم أسباب مضاعفة الثواب والأجر على العمل من الله تعالى إذا حقق العبد في عمله الإخلاص للمعبود وهو الله تعالى، والمتابعة للرسول ﷺ ، فمضاعفة الأعمال تبع لما يقوم بقلب العامل من قوة الإخلاص وقوة الإيمان[٣] .

---

(١) محمد الغزالي ، نظرية التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١ .

(٢) عبدالرحمن السعدي، فوائد قرآنية، تحقيق زهير الشاويش، دمشق المكتب الإسلامي، ص٧٢ – ٧٧ .

(٣) المرجع السابق، ص٦٨ .

فميدان العقيدة أصل وأساس لجميع الميادين من جهة ومن جهة ثانية هو الاتجاه التربوي الأول عند المتعلمين قبل الممارسات العملية لأن الأعمال بالنيات كما في الحديث (**إنما الأعمال بالنيات**)[١].

٢- ميدان التزكية في التربية الإسلامية

لقد تحدثنا فيما سبق عن هذا الميدان في العهد المكي ونضيف إلى ذلك الآتي من الأفكار التربوية توضيحاً لهذا الميدان في العهد المدني.

التزكية في التربية تهتم بتطهير النفس والعقل والجسم من كل ما يضر الإنسان وتجعل ذلك في تكامل ضمن إطار منهج تربوي نظري وعملي، يؤدي هذا المنهج إلى تكامل الإيمان والعلم، فهي تحذر الإنسان من نفسه والشيطان ومن غرور الدنيا واللهو، ومع إيجاد نوع من الرهبة والرغبة، والخوف والرجاء، لكي يتولد فيه دافع إيتاء السلوك الذي تقرره التربية الإسلامية[٢].

والتزكية أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل التزكية والتربية تترادفان في المعنى والوظيفة من حيث إصلاح النفس، وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى مراتب السمو، ولكي ينتفع الإنسان من آيات الله تعالى، وبما في ذلك آيات الأنفس وآيات الكون[٣]، ويذكر أيضاً الشيخ محمد الغزالي أن مما يدل على ترادف

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، جـ١، ص٩، الحديث الأول في صحيح البخاري.
(٢) ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية، مرجع سابق، ص٤١,٤٢.
(٣) محمد الغزالي، نظرية التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١.

معنى التزكية والتربية قوله تعالى ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)** ﴾ [**طه**]وحياة الرسول ﷺ وأصحابه تمثل النموذج والسلوك الراشد، فهم أبصر الناس بالحياة فلم يعبدوها ولم يزهدوها بل حققوا على الأرض أغلى الحضارات وأشرفها[1] لذا فإنّ التربية الإسلامية تشمل التزكية كميدان أساسي فيها، ولكن لابد من تكاملها مع بقية الميادين الأخرى والتي ذكرت في أكثر من موضع فى القرآن الكريم قال تعالى﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)** ﴾ [**البقرة**].

لذا فإن ميدان التزكية يلازم دوافع الإنسان وما توجد عنده من مثيرات داخلية تحرك سلوكه لأجل الحصول على شئ ما، وجعل ذلك في إطار عقيدة التوحيد، وما يدخل تحت ميدان ﴿ **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ** ﴾ [**الجمعة** : ٢]، ويلزم ذلك اتباع الأحكام الشرعية، ومراعاة التعليم والأساليب الصحيحة لإمكانية الحصول على تلك البواعث التى يسعى للحصول عليها الإنسان، لأن التربية الإسلامية تدعو إلى ربط الهدف والسلوك ضمن تلك الميادين الأربعة، المذكورة فى هذه الدراسة ولكن يمكن القول: إن ميدان التزكية قد وصل غاية كماله فى صحابة رسول الله ﷺ إذ تربوا على ذلك ولنأخذ موقفاً فى غزوة بدر: خرج الرسول ﷺ بأصحابه من

---
(١) محمد الغزالي المرجع السابق جـ١ .

المدينة صوب بدر، وكانوا مظلومين مشردين عن بلدهم مكة المكرمة وقد سلبت أموال بعضهم، فهم جياع كما جاء فى كتب السير[1] .

وحدثت غزوة بدر، وهي أول تجربة عظيمة للمسلمين في التضحية والقتال، وأول درس عظيم في ميدان الحرب والقتال، ومن أجل الغاية العظمى التي تجمعهم وهي نشر الإسلام لأجل رضا الله العلام، حدث النصر لهم بفضل الله تعالى .

وكانت أول مشاهدة لهم وهم على ضعف وقلة، وجوع وفقر، يرون الغنائم والأموال أمامهم في أعقاب المعركة وهم منتصرون، فتسابق البعض إليها واختلفوا في كيفية استحقاقهم لتلك الأموال فذهبوا إلى رسول الله يسألونه لينهوا خصومتهم في الأمر، وعندئذ نزل قوله تعالى ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَ جِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)** ﴾ [**الأنفال**] .

فكانت التربية لتزكية نفوسهم ليس جواباً على سؤالهم، بل صرفهم عن الموضوع كله، أما هم فعليهم كما في الآية إصلاح ما وقع بينهم من خصام في حطام الدنيا وعليهم تقوى الله، فسمع الصحابة وعملوا بما أمرهم الله به، وبعد هذه التزكية من الله تعالى لنفوس المؤمنين والتدريب لهم على الزهد في حطام الدنيا نزلت آيات أخرى

---

(١) أ – سيرة ابن هشام، جـ٢، ص٢٤٥ .
ب – محمد الغزالي، فقه السيرة، ص٢٢٨ .
جـ – محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص٢٣٧ .

في القـرآن الكريم توضح توزيع الغنائم على المجاهدين في سـبـيل الله تعـالى . وهذا يدل على أن تزكـيـة نفس المتـعلم أهم من تعليـمـه في التـربيـة فـالله سـبـحـانه وتعـالى في هذه الغـزوة ربّى المؤمنين على الزهدوالتعفف عن حطام الدنيا وهم أشد ما يكونون لها، ثم علمهم فيما بعد كيفية توزيع تلك الأموال، والتزكية للنفس هي التي تعطي المتعلم الثمرة المرجوة منه وقد قسمنا في الفترة المكية مراتب النفس إلى ثمـانٍ وذكـرنا طرفـاً منهـا، وأمـا بقـيـة المراتب والتي وصلت نفـوس المسلمين إليها فهي: المرتبة الخامسة : النفس المطمئنة وهذه الدرجة لا تصل إليهـا النفس حتى تكون ملهـمـة من الله تعـالى كـمـا في الدرجة الرابعة التي مرت معنا في العهد المكي، وتعمل بمقتضى تقوى الله عز وجل، وحتى تصل إلى درجة أعلى، إنهـا مطمئنة لأنهـا في حـمـاية ورعاية الله تعالى فلا يهـمـهـا حلو الحياة أو مرها ولكن المهم رضـا الله تعـالى؛ فيكون الاطمئنان النفسي؛ وهذا الاطمئنان يولد في النفس درجة ومرتبة أعلى وهي الدرجة السـادسـة وهي : النفس الراضـيـة، وهى نفس مستسلمة لقضاء الله تعالى، مفوضة الأمر إليه ،لا يهمها إلا رضـا الله والولاء له ، وفي ذلك يكمن رضـاها ، فـتـرتقي إلى درجـة أعلى هي الدرجة السابعة وهي: النفس المرضية التي يحصل لها الفوز والسعـادة الأبدية بما أحـسنت في الدنيـا، بفـضل الله تعـالى عليـهـا فتدخل الجنة مع عباد الله الكريم، وتشير الى تلك المراتب للنفس قوله تعالى :﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)** ﴾ [**الفجر**] أمـا

الدرجة الثامنة: وهي خاصة بالنبوة برسول الله ﷺ فقد تحدثنا عنها في الفترة المكية، وهي النفس الكاملة المعصومة من خالقها سبحانه وتعالى إذ الكمال لله تعالى والعصمة لرسله عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وهكذا التربية في صدر الإسلام وصلت بالناس إلى درجات في النفس أعلى من الاطمئنان النفسي الذي تتلهف إليه الكثير من أنواع التربية، لكي تصل إلى هذا الاطمئنان النفسي عند المتعلم، ولكن هيهات، فإن لكل شئ سبباً، فكيف يصل الإنسان إلى الاطمئنان إلى جنب الله ولم يفلح في تزكية نفسه ، قال تعالى﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)** ﴾ [**الشمس**]. وقال تعالى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤)** ﴾ [**الأعلى**]، وبالنظر في الواقع وإلى قمة ما نتصوره في البشر، نجد الكثير منهم، قد عملوا للدنيا والمناصب، والذين أخلصوا منهم لله تعالى سواء في العلم أو الكتابة أو التأليف أو التدريس قليل ،ولم يدفعوا الوعى الإسلامي لبناء حياة إسلامية [١] .

ولكن الخير في أمة سيدنا محمد ﷺ لايزال وإلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى ولكن خلو ميدان التعليم من التزكية في التربية المعاصرة يؤدى إلى التأخر في التربوي وعلاج ذلك الرجوع إلى الله تعالى والولاء المطلق له وحده وهذا يكون بمعرفة السنة النبوية ولعل خير ما يحقق ذلك التربية الإسلامية، وتتبع تكاملها في أصولها وميادينها .

---

(١) عابد توفيق الهاشمي، طرق تدريس التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٢٢ .

ويرى (المحاسبي) في التربية أن أول ما يبدأ به المتعلم تقوى الله تعالى، والتقوى لاتحصل إلا بمعرفة آيات الله، كما أن التقوى تقود إلى الورع والطاعة وهي سبيل النجاة، كما أن العلم هو الدليل الموصل إلى هذه النجاة، وليعلم المتعلم أن أصل الطاعة الورع والزهد وأصل الورع والزهد تقوى الله تعالى، وأصل التقوى محاسبة النفس وأصل هذا الخوف والرجاء من الله تعالى[1] .والطريق الموصل إلى ذلك العلم الصحيح هو قبول العمل وهو لايقبل إلا إذا كان خالصاً لله صواباً على سنة المصطفى ﷺ، ولذا فإن التزكية من مزايا التربية الإسلامية، وهي لا تنافي العلم الصحيح، بل هي ثمرة لهذا العلم لأنها تربط المخلوق بالخالق وتجعل المخلوق يرجو الثواب من الله وحده، فهو عزيز بطاعة الله وهو قوي بقوة إيمانه وولائه إلى الله وحده .

٣- ميدان الإعداد الفكري والتربوي

وتشير إلى هذا الميدان الكثير من الآيات ومنها ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ** ﴾ [**الجمعة**: ٢].ويركز هذا الميدان على تزويد المتعلم بالمهارات الفكرية والعملية التي تمكنه من فهم القرآن الكريم، وبقية مصادر التربية الإسلامية ومن ذلك الاجتهاد في التربية الإسلامية لاستخراج الأسس اللازمة لحياة الأمة الإسلامية وتطورها، وكي تساير العصر في إطار المحافظة على سعادة الدنيا والآخرة[2] قال تعالى: ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ** ﴾ [**الجمعة**: ٢] والتعليم في الآية السابقة

---

(١) المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، مرجع سابق ، ص٤٣ – ٤٤ .

(٢) المرجع السابق.

يعني تنوير الذهن بما يفتقر إليه من هدايات كثيرة في عالم الغيب والشهادة، أي في عالم المادة وما وراء المادة، ولكن لابد من ربط العلم بالتزكية لأن سعة العلم لا تدل على زكاة القلب، وحسن الخلق، فقد تستغل النفس المتعلمة الذكية، – والتي غير ملتزمة بالتزكية– العلم في تحقيق مآربها الصغيرة، وقد يؤدي ذلك إلى تدمير الإنسانية[١] وقد ذكرنا في ميدان التزكية سابقاً، شروط العمل الصالح؛ ولهذا يجب أن تركز التربية الإسلامية على تقوية تلك الشروط.

كما أن كل عمل قصد به وجه الله فهو عبادة لله تعالى ولكن بشرط ألا يخالف السنة الشريفة، وهذا من جهة أولى ومن جهة ثانية ينبغي على التربية أن تلتزم الصدق والأمانة من حيث المناهج ومن حيث تنفيذها لأن هاتين الصفتين من شروط نجاح التربية الإسلامية ومن صفات المعلم لها الأول سيدنا محمد ﷺ قبل الرسالة وبعدها كما أن تحت تلك الصفتين كل الفضائل الحميدة مما يؤدي إلى ظهور النضج الفكري عند المتعلمين فهو يتحدث بصدق وأمانة ويسمع الآراء ويدلي بها ولكنه يلتزم بأصوبها أو أقربها إلى الصواب، وإن كانت تخالف رأيه لأن الحق أحق أن يتبع بكل أمانة وصدق، ومن هنا نجد التربية الإسلامية ربت أتباعها على هذا النضج الفكري وعدم استهجان أي رأي لأحد من المتعلمين ولكن توضيح الصواب له إذا أخطأ فنجده يأخذ به ويقول لمن أرشده جزاك الله خيراً .

وينبغي على معلم التربية الإسلامية إذا ناقش المتعلمين وطالبهم

---

(١) محمد الغزالي، نظرية التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١.

بإدلاء آرائهم وأفكارهم ألا يطلب منهم تقويمها في آن واحد، لأنه إن فـعل ذلك فكأنه طلب عـملين في آن واحـدٍ وقـد يسـد هذا باب الاجتـهـاد في الرأي، والنضج الفكري، ويسد باب الحـرية في الرأى ولكن للمتـعلم الحرية بإعطاء رأيه وفكرته، وإن كـانت خطأ في نظر غيره إلا أنها عندما قالها هي في نظره لا حرج فيها ثم على المعلم أن يبين له وجهة الصح إذا كان يستند إلى دليل قطعي، وما هو أقرب إلى الصحيح بالترجيح والقرائن أما إذا كان الأمر وجهة نظر فإن لكل من المتعلم والمعلم وجهة نظر ولنا في سيرة الرسولﷺ أسوة حسنة، فقد جاء الحباب بن المنذر في غزوة بدر إلى رسول الله ﷺ ، وأشار إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يغير المكان الذي نزلوا فيه إذا كان ليس أمراً من الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وأن ينزلوا ما بين القوم والماء فإنها هي الحرب والمكيدة وقد أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام برأي الحباب بن المنذر[١] .

ومن هنا أرى من وجـهـة نظري أنه ينبـغي على مـعلم التـربيـة الإسلامية ألا يعادي شيئا بجهله وإلا كان كالمزكوم لا يحب رائحة العطر بل يأباه وهذا ينطبق على كل معلم يعادي ما يجهله، أو على الأقل لا يعرفه، فإن ذلك ليس من العدل، بل معاداة الناس بدون حق، فهو من الحسد، بل من الاعتراض على حكمة الله تعالى حيث يعطي من يشاء من فضله :

ورحم الله الألوسى البغدادي صاحب تفسير روح المعاني إذ

(١) أ – سيرة ابن هشام جـ٢، ص٢٥٩ .
ب – محمد الغزالي، فقه السيرة، ص٢٣٥ .

يقول :

وإِذا الفتى بلغ السماء بفضله　　　كانت كأعداد النجوم عداه
ورموه عن حسد بكل كريهـة　　　لكنهم لا ينقصون علاه[1]

والحمد الله رب العالمين الذي علم الإنسان مالم يعلم والصلاة والسلام على معلم العالمين سيدنا محمد ﷺ. قال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [**الأنبياء**] فالرحمة من أهم صفات المعلم والرحماء يرحمهم الرحمن سبحانه وتعالى .

٤- ميدان الإعداد الوظيفي التربوي

وتشير إلى هذا الميدان كلمة "والحكمة" في آية سورة الجمعة رقم (٢) وآية (١٢٩) من سورة البقرة وأيضاً آية (١٥١) منها. وآية (١٦٤)، من سورة آل عمران، وقد وردت كلمة الحكمة في سورة البقرة ست مرات ومما ذكر الفخر الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب إن الحكمة جاءت بعدة معان منها :[2]

(أ) الحكمة بمعنى القرآن الكريم، وبما فيه من عجائب الأسرار كما في قوله تعالى﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)** ﴾ [**النحل**] .

---

(١) الكتاني، نظام الحكومة النبوية، مرجع سابق، جـ١، ص٨٠.

(٢) أ – محمد بن عمر التميمي الرازي فخر الدين المتوفى ٦٠٦هـ، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج٥، ط٢، طهران دار الكتب العلمية (د.ت) ص٥١٥.
ب – عبدالراضي محمد عبدالمحسن، «نظرات في الدعوة الإسلامية» مجلة الأمة، العدد الثاني والسبعون، السنة السادسة، شهر ذي الحجة ١٤٠٦هـ، ص٣٨.

(ب) الحكمة بمعنى النبوة كقوله تعالى﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[**النساء** : ٥٤] وقد ذكر هذا المعنى ابن العباس رضي الله عنهما.

(جـ) الحكمة بمعنى مواعظ القرآن الكريم قال تعالى﴿ **وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ** ﴾ [**البقرة** : ٢٣١].

(د) الحكمة بمعنى الفهم والعلم، والإعداد الوظيفي التربوي لهذا العلم وما جاء في القرآن الكريم من مواعظ وحكم، وما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام من الوحي ومن غيره، فهو معصوم من الخطأ لانه نبي رسول، ودرجة النبوة والرسالة لاتقاربها درجة في الفضل والكرامة قال تعالى﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ** ﴾ [**لقمان** : ١٢] وعلى كل حال فإن تلك الآيات السابقةتدل على جمال السلوك وحسن التصرف من الرسول ﷺ وغيره من الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأيضاً تدل على حسن التصرف من كل مَنْ عمل بالقرآن الكريم، والسنة الشريفة التي هي من معاني الحكمة التي أعطاها الله تعالى الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وهناك معان أخرى للحكمة غير التي ذكر الفخر الرازي منها[١].

(أ) الحكمة بمعنى العبرة قال تعالى﴿ **وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)** ﴾ [**القمر**] .

(ب) الحكمة بمعنى الإتقان قال تعالى﴿ **الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ**

---

(١) ماجد عرسان تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية – مرجع سابق، ص٥٠ –٥٥ .

فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾ [**هود**] وفي الحديث «الحكمة الإصابة في غير النبوة»[١].

(جـ) والحكمة بمعنى الحلول الملائمة، كما في الحديث الشريف «**الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها**»[٢].

(د) والحكمة بمعنى القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب والنافع والضار قال تعالى﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٦٩)** ﴾ [**البقرة**].

وعلى كل حال فإن الحكمة فضل من الله على الإنسان إذ تمده بحسن إدراك الأمور، وصواب الرأي والتصرف وحسن النظر ولنأخذ موقفاً من الدروس التربوية لعلها ترشد إلى التعمق في فهم الحكمة وأصالتها في التربية الإسلامية وليكن من غزوة أحد وأحداثها وما بعدها:

اجتمع رأي قريش على الأخذ بالثأر لما وقع لهم من قتل في غزوة بدر، فالتقى جيشهم مع المسلمين في أحد، ومن الحكمة أن جعل الرسول ﷺ على الجبل خلف المسلمين خمسين رامياً وأمر عليهم عبدالله بن جبير وأوعز إليهم قائلاً «**قوموا مكانكم هذا فاحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا**»[٣]، فالرسول ﷺ حذر الرماة من النزول في كلتي الحالتين

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب ٢٤، فتح الباري، جـ٧، ص١٠٠.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد باب الحكمة رقم ٤١٦٩، جـ٢، ص١٣٩٥.

(٣) سيرة ابن هشام، جـ٣، ص١٠ وأيضاً في فقه السيرة لمحمد سعيد – البوطي، ص٢٣٧. وأيضاً في فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص٢٦٤.

النصر أو الهزيمة حتى يأذن لهم، وكانت خطوات تلك المعركة تتم بالتشاور وكان التشاور دأبه ﷺ امتثالاً لأوامر ربه تعالى، قال تعالى﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [**آل عمران**: ١٥٩].

قامت المعركة فانتصر المسلمون وأخذ المشركون يولون الأدبار وفي هذا الانتصار التزم المسلمون أماكنهم وأوامر قائدهم عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك فضل من الله الكريم على المسلمين إذ يقول تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** ﴾ [**آل عمران**: ١٥٢]ثم أخذ المسلمون ينطلقون خلف المشركين، وليأخذوا الغنائم، فاختلف الرماة فيما بينهم فمنهم من نزل وقليل مكث مع أميرهم على الجبل لأن الرسول ﷺ لم يأذن بالنزول لهم، فلمعت الفكرة العسكرية في رأس خالد بن الوليد وصعد جبل الرماة وقتل من فيه وأوجعوا المسلمين رمياً بالسهام من خلفهم وهذا الشطر من المعركة تدل عليه الآية الكريمة ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٥٢].

وكم كان وبال عدم إطاعة الرسول ﷺ وخطيئة بعض المسلمين إنه لم ينج من نتائجها حتى رسول الله ﷺ، وهو أحب الخلق إلى ربه جل جلاله، ولكنها درس تربوي من الله تعالى للمسلمين وسنته فى الكون وتجربة للمسلمين وأن يوطئوا أنفسهم لها منذ تلك الساعة،

وأن لا يرتدوا على أعقابهم إذا وجدوا أن رسول الله ﷺ قد اختفى من بينهم، ولأن قد شاعت شائعة قتل رسول الله ﷺ ولعلها أيضاً علاجاً لهم، يلفت أنظارهم إلى مصيبة أعظم مما أصابهم من الأذى، ومن أجل بيان هذا الدرس وما أصاب بعض المسلمين من ضعف وتراجع لدى سماعهم نبأ مقتل رسول الله ﷺ[1] قال تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)**﴾ [**آل عمران**].

ولكن نجد أن هذه الغزوة هي نصر للمسلمين، ودرس تربوي، وحكمة عظيمة من أجل استمرار التربية الإسلامية إلى الأمام في جميع الظروف، في الرخاء والشدة، في النصر وفي الهزيمة، وفي العبرة والاعتبار والاستفادة من سنة الله في خلقه حتى في أشرف الناس وأكرمهم عليه وإذا كان خطأ وقع من خيرة الناس من الصحابة رضي الله عنهم وحصل لهم ما حصل فلنتصوّر لطف الله بالمسلمين وما أكثر أخطائهم المتنوعة والمتعلقة بشتى مجالات الحياة العامة، ولعل ذلك من الحكمة في معرفة استمرار الشعوب الإسلامية وهي مغلوبة على أمرها أمام الدول الباغية الأخرى[2].

وهناك حكمة أخرى من القائد رسول الله ﷺ بعد دفن الشهداء، وأصبح الصباح حتى طلب من الصحابة أن ينطلقوا معه خلف المشركين الذين لم تخمد بعد في رؤوسهم جذوة النشوة

---

(١) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص٢٤٤ – ٢٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٦ – ٢٧٤.

بالنصر وحيث كانوا يفكرون بالرجوع إلى المدينة ولكن عندما علموا أن الرسول وأصحابه خلفهم وهم في هذه المرة لم يطمع أحدهم في غنيمة أو غرض دنيوي وإنما التطلع إلى النصر أو الشهادة وبعضهم يحمل جراحاته الدامية وقروحه المؤلمة، ولكنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فضلاً منه سبحانه وتعالى ولهذا نزل قوله تعالى﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)** ﴾ [**آل عمران**]فولى المشركون الأدبار ولم يفكروا في الرجوع إلى المدينة ورجع المسلمون بفضل من الله لم يمسسهم سوء.

إن الدروس التربوية كبيرة سواء ماكان منها فى غزوة بدر أو أحد وماكان متصل بالحكمة أو غيرها من ميادين التربية الإسلامية، حيث إن من حكم رسول الله ﷺ كثيرة والتى يجب على علماء التربية الإسلامية الأخذ بها ومن ذلك فقد شاور أصحابه فى غزوة الخندق فأشار عليه سلمان الفارسي ببناء خندق حول المدينة فشرع المسلمون فيه لما استحسنوا مشورة سلمان وكان الأمر شورى بينهم وكان القائد الذى أحب إليهم من أنفسهم معهم يحفر الخندق كما يحفرون حتى انتهوا من حفر الخندق فلما رأت الأحزاب ذلك قالوا :إنها لمكيدة وأدخل الرعب فى قلوبهم، والعرب ماكانت تعرف ذلك ولهذا أول من حفر الخندق فى الإسلام رسول الله ﷺ[1].

---

(١) أبو الحسن علي الخزاعي، كتاب تخريج الدلالات السمعية – القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠١هـ، ص٤٩٨.

وهذه الحادثة تدل على أن التربية الإسلامية تهتم بالواقع النظري الذي يطبق عملياً، ويشارك المعلم المتعلمين فى ممارسة العملية التعليمية وذلك لتنمية دوافع نمو الشخصية عندهم سواء من خلال تنمية الحاجة إلى الإنتماء والحب والمشاركة فى جماعة المسلمين وتنمية الحاجة إلى تقدير ذواتهم من الرسول ﷺ ومن الصحابة بعضهم مع بعض أي ليشعر الجميع بتقديرهم من خارج أنفسهم، أو ماتسمى تربية الظاهر فى التربية الإسلامية، وأيضاً حصل تحقيق لذواتهم من داخل أنفسهم حيث ظاهرهم مثل باطنهم، أي تنمية الحاجة إلى تحقيق الذات أي من داخل الإنسان نفسه أو مايسمى فى التربية الإسلامية تربية الباطن، وحسن الظاهر والباطن هو من أجل رضا الله تعالى.

ولذا نجد أن دوافع النمو والشخصية أخذت بها التربية الإسلامية، ونمتها فى عهدها الزاهر علاوة على تحقيق دوافع البقاء من الحاجة إلى الطعام والشراب والزواج والحاجة إلى الأمن، هذه الحاجات ماتسعى التربية الحديثة إلى تحقيقها للمتعلم، وتسمى مدرج الحاجات، وقد أهتمت بها الدول المتقدمة، أما البلاد الإسلامية الآن فمعظمها تركز على تحقيق دوافع البقاء من الحاجة إلى الطعام والشراب والزواج والأمن، أما حاجات دوافع النمو والشخصية من الشعور بالإنتماء والحب للوطن الإسلامي والمشاركة وتقدير الذات وتحقيقها والذى كان واضحا فى التربية الإسلامية ومطبقاً فى عهد رسول الله ﷺ وأصحابه فإن ذلك معدوم فى التربية الآن عند بعض المعلمين المسلمين.

وفى كتاب الدلالات السمعية للخزاعي أو كتاب التراتيب الإدارية لنظام الحكومة النبوية لعبدالحي الكتاني نجد من "الحكم التربوية ما لا يحصى فهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه فهو فارس شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ قد اختاره عليه الصلاة والسلام[(١)] لكي يعلم أهل الصفة من الصحابة القرآن الكريم فهو يعلمهم الدين والعمل به والهدف والتضحية من أجله.

فمن الحكمة اختيار رجال التربية من اولي الألباب، والأذكياء والاتقياء، وأهل الصلاح، لأنهم يعلّمون جيل المستقبل جيل الخلف للسلف، وقد اختار عليه الصلاة والسلام من المعلمات (الشفاء أم سليمان رضي الله عنها) وكانت تعلم حفصه الكتابة[(٢)] وكان لتعليم حفصة حكمة، فكان لها مصحف فيما بعد سمى مصحف حفصة رضي الله عنها كان له دور فى حفظ القرآن الكريم بإرداة الله تعالى.

ومن المعلمين عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي، وما أدراك ما عمرو، لقد استعمله رسول الله فيما بعد ليكون والياً على نجران ليفقه أهلها في الدين، وهي تبعد عن المدينة ما يزيد عن ألف كيلو متراً، إنه معلم وقاضي، وفارس وداعية إلى الله، ورحالة فى سبيل نشر الإسلام، وما أكرم صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام «**لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٣)].

---

(١) أبو الحسن علي الخزاعي كتاب تخزيج الدلالات السمعية – مرجع سابق، ص٦٥ – ٦٦.

(٢) أبو الحسن الخزاعي – المرجع السابق، ص٦٦.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، دمشق، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣) ص٥١.

فاختيار الشخص في مكانه المناسب هو من توفيق الله تعالى وهو في حد ذاته حكمة، لأن إنجاز أي عمل يؤثر فيه طبيعة العمل نفسه، وطبيعة الشخص الذى يعمل فيه أو يتعلمه، والظروف المحيطة بالعمل. ولهذا نجد في سيرة النبي ﷺ أنه تمّ فيها بفضل الله اختيار الأشخاص المناسبين للأعمال المناسبة لهم، مع توفير المعاملة الحسنة من القائد رسول الله ﷺ، ومن الصحابة فيما بينهم حتى أصبحوا اخوة وكالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسم الواحد .

ولعل من الحكمة البارزة في سيرة الرسول ﷺ أنه كان يبدأ في الدعوة بالأهم فالأهم، فبدأ بتربية الصحابة على التوحيد وغرس العقيدة وقوة الإيمان قبل تكسير الأصنام وتحريم الخمر، وبدأ بالصلاة قبل الحج والصيام، وكان كل ذلك بتوفيق من الله في هذا التدرج الحكيم لإعداد المسلمين ولنا معشر المربين في رسول الله ﷺ أسوة حسنة .

فأخذ عليه الصلاة والسلام بمبدأ التدرج لأنه أصل تربوي من الأصول التربوية في الإسلام وتدعو إليه التربية الإسلامية نظرياً وعملياً، وأيضاً العمل على التمهيد لأي تربية حتى لا تواجه ردود الفعل العنيفة من أول أمرها، وهذا ما تأخذ به الكثير من أنواع التربية، وذلك لكسب الرأي العام حيث يخفف من ردود الفعل .

لهذا فإن من الحكمة أن تتصف التربية بالكرم حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام كريماً عفواً رحيماً لايريد منهم جزاءً ولاشكوراً إنما يرجو الجزاء من الله الكريم، والناس تقبل على من يحسن إليهم

ويعطيهم أكثر مما يأخذ منهم.

لذا فإن من الحكمة أن تتصف التربية بالعفو والصفح والتسامح وهذه كلها متوفرة فى التربية الإسلامية وتأمر بها وطبقت عملياً فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وفى عهد الصحابة رضي الله عنهم وذلك لأن عملهم لله ويريدون الجزاء منه، وإذا حصل من الناس الذين يحسنون إليهم نفعاً فهو أيضاً من الله، وإذا لم يحصل لهم منه مقابل فهم أغنياء عن ذلك لأنهم من الأساس لم يعملوا العمل لأجل أي مقابل له من مخلوق ولكن عملهم هو لله وحده .

ولعل من الحكمة في التربية مخاطبة الناس على قدر عقولهم وباللين وبالتحبيب قبل التخويف وبالثواب قبل العقاب، حيث في كل ما سبق نجد التربية الإسلامية عملت به وطبقته عملياً في عهدها الزاهر، عهد المصطفى ﷺ، وعهد أصحابه رضي الله عنهم .

قال تعالى﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)** ﴾ [**النحل**].

وقد كررنا هذه الآية لأهميتها في التربية الإسلامية والتمسك بمنهج الحكمة التي تدعو اليه والله الموفق .

خصائص التربية الإسلامية
في العهد المدني

١ - استمرارية غرس العقيدة وتقويتها في نفوس الصحابة رضى الله عنهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وذلك بالملازمة للرسول عليه الصلاة والسلام في حربه وسلمه، فتعلم الصحابة من الرسول عليه الصلاة والسلام بانتظام التربية معه وسماع قوله ومشاهدة فعله.

٢ - بناء المسجد وقيامه بدوره التربوي كأفضل مؤسسة تربوية على وجه الأرض تجمع صلاح الدنيا والأخرة، علماً بأن المجتمع في صدر الإسلام يمثل قوة تربوية ومؤسسة تعليمية يتم التعليم فيها نظرياً وعملياً، والمساجد مراكز وقواعد يتم الانطلاق منها للمجتمع، من أجل سعادة الفرد والأمة في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ** ﴾ [**التوبة**: ١٠٨]. ولقد حققت التربية الإسلامية في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام سواء كان في المسجد أو المجتمع أو حجرات الرسول ﷺ أو منازل الصحابة جميع الحاجات التي يحتاجها المتعلم.

حيث نجد التربية الإسلامية اهتمت بدوافع البقاء فكونت أمة ذات اقتصاد مستقل وأمة ذات سياسة حكيمة فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يغرس النخل مع أصحابه وكان يشارك أصحابه في الطعام والماء، ويشاورهم، ،وهو الغني عن المشورة لأن الوحي ينزل

إليه ولكن ليقتدى به وقد حققت التربية في عهد الرسول دوافع نمو الشخصية فكان الفرد يفتخر أن يكون من الأمة الإسلامية ومن دولة الإسلام وكان الجميع يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويحبون الرسول عليه الصلاة والسلام أكثر من حبهم لأنفسهم .

وكانت الشورى دستورهم في اتخاذ القرارت فحصل للصحابة التقدير من الآخرين وهم أحياء وبعد مماتهم، وهو ما يمثل حسن الظاهر، وحصل لهم تحقيق لذواتهم أي حسن الباطن أى ظاهرهم مثل باطنهم فهم كرماء عند الله، كرماء ينفقون من المال والحلال. وتحققت لهم تلك الحاجات وزيادة أي أنهم يعملونها من أجل الله لنيل الأجر والثواب فى الحياة الآخرة وهذه ميزة لا تتوفر إلا في التربية الإسلامية .

٣ – تربية الأمة : ولعل من أهم خصائص العهد المدني تربية الأمة الإسلامية وأصبح لها كيان منطلق من عاصمتها المدينة المنورة ولها هدف واحد هو الولاء لله تعالى ونشر الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله لخلقه، فحصل بهذا التكوين التكامل والترابط والإخاء بين المسلمين قال تعالى﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [**آل عمران**: ١٠٣]،وبذلك تكونت دولة الإسلام بالاعتصام بحبل الله وعدم تشتيت الجهود.

٤ – وضوح التكامل وحصوله في التربية نظرياً وعملياً في الميادين التربوية وأصول التربية فى إطار من بناء العقيدة حتى تمت الاستفادة من العلاقات الداخلية والخارجية، وبذلك كملت التربية الإسلامية في العهدين المكي والمدني .

٥ – لا توجد ازدواجية في التعليم أي ليس هناك تعليم مدني وتعليم ديني منفصل عن التعليم المدني أو السياسي، بل التعليم المدني رافد من روافد التعليم الديني لأن الدين يشمل جميع جوانب الحياة[1] أي ليس هناك فصل بين الدين وبين شؤون الحياة جميعها.

٦ – مما تمتاز به المرحلة المكية أنها مرحلة التكوين بينما المرحلة المدنية، مما تمتاز به حصل التمكن فيها مع الاستمرار في التكوين من السلف إلى الخلف قال تعالى﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [**الحج**: ٤١].

٧ – الوحدة الاقتصادية والوحدة السياسية: أصبح للتربية في العهد المدني وحدة اقتصادية ملتزمة بالدين الإسلامي قال تعالى﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [**الجمعة**: ١٠]. فالاقتصاد هو لخدمة الإسلام ويكون في إطاره وكانت الوحدة السياسية تتمثل في الولاء لله والحكم بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة وبالمشاورة وهذا يندرج حتى على التربية قال تعالى﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)** ﴾ [**المائدة**].

---

(١) أ – حمدي أبو الفتوح، أسلمة المناهج من منشورات المركز العالمي للتعليم الإسلامي بجامعة أم القرى، عام ١٤٠٦هـ، ص١٥.

ب – محمد حامد الأفندي، نحو مناهج إسلامية من مطبوعات المركز العالمي للتعليم الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٣٩٧هـ، ص١٢.

٨ – مما تمتاز به التربية الإسلامية في العهد المدني بأن فيها تفصيل للأحكام ومن هذا يستنتج أن من مبادئ التربية الإسلامية التعليم من الكل إلى الجزء أي كما في العهد المكي كانت بعض الأحكام مجملة كلية ولكنها في العهد المدني مفصلة، وبالتالي نجد التربية الإسلامية سبقت غيرها في استخدام هذه النظرية وهي :التَّعلُّم من الكل إلى الجزء فهي سبقت أصحاب نظرية الجشتلط، والجشتلط كلمة ألمانية بمعنى الصيغة والشكل الكلي. أي أن التَّعلُّم يتم بإدراك الكل والصيغة الكلية قبل الجزء. ويسهل على المتعلم التعلم إذا عرضت المادة في صيغ واضحة مترابطة ذات هدف محدد، وكل هذا استخدمته التربية الإسلامية، قبل غيرها، ولذا ندرك أن كل ما يصلح الإنسان قد سبقت إليه التربية الإسلامية. وكل ما يضر الإنسان قد نهت عنه هذه التربية العظيمة.

٩ – مما اهتمت به التربية الإسلامية في العهد المدني تطهير البيئة الداخلية وعلاج الفرق المخالفة للإسلام ولا سيما المنافقون الذين يظهرون الإسلام ويبطنون النفاق وقد عالجتهم بالتأثير النفسي والوعيد وأنهم في الدرك الأسفل من النار، وعالجتهم بالحكم والأمثال وبالوعظ والقدوة الحسنة وبالترغيب والترهيب وقبول التوبة والعفو والغفران لمن تاب ورجع إلى الله تعالى، والعذاب السعير لمن عاند واستمر في نفاقه.

١٠– ومن خصائص العهد المدني أن التربية الإسلامية عملت على

تنظيم علاقة المسلم مع غيره من الأقليات غير المسلمة، وتشمل الإيواء وتبادل المصالح الحياتية مثل الطعام؛ والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والآن نشرع في الفصل الأخير، الفصل الثالث وهو خاتمة الدراسة ومصادرها ومراجعها وبالله التوفيق.

الفصل الثالث

الخاتمـــــــــــة.

النتائـــــــــج.

التوصيـــــات.

المقترحـــــات.

المصادر والمراجع.

الخاتمة

تواجه التربية الإسلامية اليوم مشكلة، تكمن في مدى فهمها وتطبيقها لمن ينتسبون إليها.

ولعل الواقع الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية، وما يوجد بها من تيارات مضللة - حتى على حساب الدين أحياناً - واتجاهات مادية، جعلت المعنى الحقيقي للتربية الإسلامية غير متوفر في الكثير من أنحاء العالم الإسلامي.

وهذا يلقي مسؤولية كبرى على المسؤولين عن تربية النشء في العالم الإسلامي بشكل عام، وعلى المتخصصين في التربية الإسلامية بشكل خاص، وما على هؤلاء إلا أن يلتمسوا كيف نشأت وتطورت التربية في عهد الرسول ﷺ وأصحابه، من مصادر تكوينها وتمكينها في مؤسساتها التربوية الأولى، وأهم هذه المصادر القرآن الكريم والسنة الشريفة وما وافقهما من مصادر التربية الأخرى، التي لا تكمن قيمتها فى مدى معرفتها ولكن تكون القيمة الحقيقية لها في مدى فهمها وتطبيقاتها التربوية.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي

١ - البيئة الاجتماعية الصالحة لها دور مهم في نجاح عملية التربية والتعليم.

٢ – عدم اليأس من المربي في الإِصلاح ولو كانت البيئة الاجتماعية جاهلية.

٣ – أوضحت الدراسة أن التربية في العهد المكي مما تمتاز به أنها ركزت على تربية الأفراد والطليعة الأولى من المسلمين، فهي مرحلة تكوين لذوي الألباب الذين قادوا الأمة الإِسلامية،مع الرسول ﷺ في حياته وبعد أن لحق بالرفيق الأعلى عليه أفضل الصلاة والسلام.

٤ – أوضحت الدراسة أن التربية في العهد المدني مما تمتاز به أنها ركزت على تربية الأمة والمجتمع الإِسلامي فهي مرحلة تمكين لأمة الإِسلام وبكل ما تحتاجه الأمة من مقومات الحياة وما بعد الحياة، حتى أصبحت الأمة الإِسلامية في هذا العهد أمة ذات سيادة مستقلة في أهدافها وقراراتها واقليمها واقتصادها وسياستها في الحرب والسلم والدعوة لله تعالى في نشر الإِسلام في أنحاء الأرض جميعها.

٥ – أوضحت الدراسة تكامل دور المرأة والرجل في التربية الإِسلامية سواءِ في العهد المكي أو العهد المدني، فقد كان عليه الصلاة والسلام يشاورها ويجير من أجارت.

٦ – بينت الدراسة أصول التربية الإِسلامية من خلال دراسة العهدين المكي والمدني وأنها تتمثل في الآتي

(أ) بناء العقيدة وإِخلاص العبادة لله تعالى وتوحيده والإِيمان به عز وجل وبرسله وباليوم الآخر، وبجميع ما يدخل تحت الشهادتين

من أركان الإيمان والإحسان

وبمعنى آخر أن هذا الأصل يندرج تحت الأصول الثلاثة وهي معرفة العبد ربه عز وجل ودينه الإسلام ونبيه سيدنا محمد ﷺ، وهذا الأصل يطلب من التربية تقوية العقيدة في نفوس النشء، وجعل هذا الأصل هو الهدف الأساسي في حياتهم.

(ب) الاستفادة من الخبرة السابقة مادامت في إطار الشريعة الإسلامية؛ أي الاستفادة من قصص الأمم الغابرة وما آلت إليه لأخذ العبرة، وهذا الأصل يطلب من التربية عند المسلمين الاستفادة من سنن الله تعالى ومن القوانين التي تحكم أحداث التاريخ وتكون مسببات لنتائج ولكن إرجاع تلك المسببات والنتائج إلى المسبب الحقيقي لها ومَنْ بيده تلك النتائج وهو الله سبحانه وتعالى.

(جـ) التدرج في العملية التربوية ـ حيث نجد فيما نزل من الوحي في العهد المكي بعض الأحكام الإسلامية التي فرضت على المسلمين ولكنها غير مفصلة وذلك مثل الإشارة إلى الانفاق من المال وأيضاً مثل تحريم الخمر وتكسير الأصنام التي حول الكعبة؛ أي أن التربية الإسلامية تدعو إلى قيام الإصلاح على التدرج والتخصص وتوزيع الأدوار ولفت أنظار المسلمين لقانون «عمل المستطاع الآن يجعل ماليس مستطاعا الآن مستطاعا فى المستقبل».

(د) التمكن من التعليم واستمراريته والتعليم الذاتي، وقد ركزت

التربية الإسلامية في العهد المدني على هذا الأصل حيث نجد أن ما نزل من الوحي في هذه الفترة يفصل الأحكام ويفرض التشريعات والحدود حيث رسخت عقيدة التوحيد في المسلمين وأصبح عندهم تعلم ذاتي مستمر لأمور دينهم إجمالاً وتفصيلاً، وذلك من خلال قراءة السور المدنية ودراسة السيرة النبوية في هذه الفترة الزمنية المباركة.

(هـ) التربية الخارجية، أي الاتصال بالأمم الأخرى وكيفية الاستفادة من خبراتهم والانفتاح على معارفهم وانجازاتهم، حيث إن ما نزل من الوحي في العهد المدني يوضح الجدل مع اليهود والنصارى ومناقشة الأديان وكيفية التعامل مع أهلها والاستفادة منهم، وذلك من خلال قراءة السور المدنية.

(و) التربية الداخلية، أي التطهير التربوي في داخل الأمة الإسلامية ولذلك نجد أن مانزل من الوحي في العهد المدني وضّح حالة المنافقين وكيفية علاجهم بالصبر والعفو والغفران من الله إذا تابوا وإن لم يرجعوا عن نفاقهم فهم في الدرك الأسفل من النار أي أشد عذاباً من الكفار، وعلى أي حال فإن هذه الأصول كلها تندرج تحت أصول الإسلام الثلاثة: معرفة العبد ربه سبحانه وتعالى ومعرفة العبد دينه الإسلام ومعرفة العبد نبيه ﷺ، وقد تكررت هذه الأصول في الدراسة لأنها الأصل ولأن عز المسلمين وقوتهم تكمن في التمسك بها وتوظيف كل جوانب حياتهم لها.

ولأن السبب الحقيقي في تأخر المسلمين الآن يكمن في ابتعادهم عن هذه الأصول في جميع جوانب حياتهم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٧ – بينت الدراسة ميادين التربية الإسلامية وذلك من خلال دراسة العهدين المكي والمدني وتكون كما يلي:

(أ) ميدان العقيدة : أي التربية بالتوحيد، والاتعاظ بآيات الله تعالى وتكوين الولاء المطلق لله عز وجل وبالرضا به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً ﷺ. والتربية مطالبة بترسيخ هذا الميدان في نفوس النشء.

(ب) ميدان التزكية:

ويشمل محاسبة النفس وتزكيتها وجعلها ترتقي إلى أعلى المراتب والدرجات. وقد أوضحت الدراسة مراتب تزكية النفس وعلوها ابتداء من أدناها وهي:

النفس الناطقة، ثم الأمارة بالسوء، ثم اللوامة ثم الملهمة. ثم المطمئنة، ثم الراضية، ثم المرضية، ثم الكمالية الكاملة المعصومة، وهذه الدرجة الأخيرة الثامنة هي خاصة بنفس رسول الله ﷺ فهو أكمل الخلق معصوم من الخالق سبحانه وتعالى.

وقد أوضحت الدراسة كيف كانت نفوس الصحابة، من الدرجة الملهمة إلى التقوى حتى وصلت نفوسهم الدرجات التي بعدها وهى: المطمئنة، والراضية، والمرضية من الخالق عز وجل.

كما أوضحت الدراسة موقع نفوس معظم المسلمين الآن من تلك المراتب وهي عند النفس اللوامة، ثم ماهو دور النفوس الذكية في التربية الإسلامية من نشر الإسلام وتزكية العقول والأجسام في واقعنا التربوي الآن.

(جـ) ميدان الإعداد الفكري والتربوي:

وقد استفادت التربية الإسلامية من التدرج في التربية، وعدم فصل العمل الديني عن العمل الدنيوي ومدى استخدامها لأساليب التعلم عن طريق الممارسة، والانتظام والملازمة للرسول ﷺ في المسجد والسوق والمجتمع ككل، وفي الحرب والسلم، ومعرفة سنته في بيته وطريقة تعامله مع من يعيش معهم، ومعرفة كل ما يتعلق بشؤون الحياة وما يوصل إلى الآخرة، عن طريقه ﷺ.

وكذلك الاستفادة من القدوة والتسامح والترغيب والثواب قبل الترهيب والعقاب، كما أن باب الرحمة والتوبة مفتوح لكل من تاب وأناب وهذا الفضل كرم من الله الكريم، وميزة وهبها الله إلى التربية الإسلامية في مدى سماحتها للناس كافة وبدون مقابل منهم، بل النفع يعود عليهم كاملاً عندما يعتنقون تلك التربية.

(د) ميدان الحكمة:

وقد وضحت الدراسة مدى استفادة التربية الإسلامية من هذا الميدان "الإعداد الوظيفى بالحكمة" وذلك بالتدرج في التربية بالأهم فالأهم واستخدام أسلوب اللين وحسن المعاملة وإصابة الرأي ، وجعل الأمور في موضعها الصحيح وفى مخاطبة الناس

على قدر عقولهم ومستواهم العلمي والثقافي والاجتماعي مع مراعاة البيئة الطبيعية والاجتماعية لهم .

٨ – بينت الدراسة أن أصول التربية الإسلامية وميادينها السابق ذكرها تستمد كلها من مصادر التربية الإسلامية وأهم هذه المصادر القرآن الكريم والسنة الشريفة، كما بينت الدراسة أن هذه الأصول والميادين والمصادر تدعو نظرياً وعملياً لتحقيق التربية الصحيحة للفرد وللأسرة وللمجتمع وللأمة الإسلامية عامة ولهذا ينبغي على التربية في العصر الحاضر تربية الأفراد والمجتمع والأسرة بحيث يصبح كل ما في المجتمع الإسلامي قوى تربوية إسلامية مع تنمية الاستقلال الذاتي لهذه الأمة الإسلامية في جميع المجالات، بحيث تكون رائدة وذات سيادة مستقلة ولا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى الله والولاء المطلق له واتباع سنة رسوله ﷺ في جميع شؤون الحياة مع تمسك التربية بتلك المصادر والأصول والميادين في القول والعمل.

٩ – إقامة المؤسسات التربوية :

أوضحت الدراسة أن المجتمع ككل يمثل مؤسسة تربوية عامة يتعلم فيها الأفراد بكل ما يحتاجون من أمور دينهم ودنياهم على يد المصطفى ﷺ بالإضافة إلى المسجد، وحجرات النبي ﷺ ومنازل الصحابة وما يحدث في السوق وفي جميع أنحاء المجتمع وما يحدث في الحرب والسلم والسفر والاستقرار كل الأمور السابقة قامت بدور المؤسسات التربوية خير قيام.

كما أوضح البحث أن تلك المؤسسات التربوية حققت أهدافها فهي استطاعت أن تنمي دوافع البقاء عند المسلمين من تهيئة الطعام والشراب وتيسير الزواج مع المحافظة على الأمن وهذا أدنى الواجبات التي ينبغي أن تقوم بها التربية كما أنها استطاعت أن تنمي دوافع نمو الشخصية من مشاورة ومشاركة في الرأي وتقوية أواصر الحب بينهم وتنمية قوة الانتماء في المسلم لأمته الإسلامية فهو يفتخر أنه ينتسب إلى الخلافة الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

كما أن تلك المؤسسات التربوية حققت في المسلمين تقدير ذواتهم من الآخرين لحسن ما صنعوا وعملوا أي أنهم يتصفون بحسن الظاهر فحصل لهم التقدير من غيرهم وهم يستحقون ذلك التقدير نتيجة لتمسكهم بالتربية الإسلامية ظاهراً وباطناً وحصل لهم أيضاً مايسمى في دوافع نمو الشخصية تحقيق الذات أي من داخل الإنسان نفسه أي حسن الباطن، فأصبح ظاهر المسلم كباطنه، فهو يصلي ويطعم لله من كسب يده وعن طريق الكسب الحلال .

ويعمل كل ذلك ابتغاء مرضاة الله بإخلاص النية في عمله لله، مقتدياً برسول الله ﷺ وهذه ميزة تنفرد بها التربية الإسلامية عن جميع التربيات الأخرى ولذا نجد التربية الإسلامية في مؤسساتها التربوية في صدر الإسلام حققت للفرد دوافع نمو الشخصية وجعلها لله تعالى ولعل المتمعن في معظم التربيات في العالم

الإسلامي اليوم يجد أنها تقف عند أدنى ما يجب أن تقدمه التربية لأبنائها أو أقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولعل الرجوع إلى التربية في عهد الرسول ﷺ وأصحابه بالفهم والتطبيق يعالج ماحدث من خلل في التربية المعاصرة .

١٠- وأوضحت الدراسة التكامل في التربية الإسلامية حيث تكاملت أصولها مع بعضها البعض، وتكاملت ميادينها فيما بينها واتحدت الأصول والميادين لتكون منظومة تربوية ظهر أثرها في تربية الأفراد والأسر والأمة والرجل والمرأة والصغير والكبير وفي جميع مجالات الحياة وما يصلحها وما يؤدي إلى ماهو أفضل منها هي حياة الآخرة، وقد حدثت تلك التربية في الواقع.

وما على التربية الإسلامية الآن إلا أن تلتمس قوتها ونجاحها من التربية في صدر الإسلام في عهد الرسول ﷺ وصحبه رضي الله عنهم.

التوصيات

١ - توصي الدراسة القائمين على التربية المعاصرة بالتمسك بما تدعو إليه التربية في عهدها الزاهر العهد المكي والعهد المدني، وترسيخ تلك التربية في نفوس النشء.

٢ - توصي الدراسة القائمين على المناهج الدراسية تضمين المقررات الأصول التربوية والميادين التربوية والمصادر التي توصلت إليها هذه الدراسة، وبينت أهميتها في حياة الدنيا والآخرة.

٣ - توصي الدراسة القائمين على التربية المعاصرة الاهتمام بالتربية الفردية والاجتماعية والاهتمام بكل ما يقوي الأمة الإسلامية.

٤ - توصي الدراسة القائمين على التربية المعاصرة الاهتمام بدور المرأة ولكن في إطار الشريعة الإسلامية.

٥ - توصي الدراسة القائمين على التربية المعاصرة بالاهتمام بالبيئة الاجتماعية وإصلاحها تربوياً وعدم اليأس من الإصلاح للبيئات التي قد خالفت أصول وميادين ومصادر التربية الإسلامية في هذه الدراسة.

المقترحات:

١ - تقترح الدراسة تقرير مادة دراسية تدرس في المراحل الدراسية لجميع المدارس عن التربية في العهد المكي والمدني.

٢ - تقترح الدراسة قيام مؤتمرات إسلامية توضح التربية في العهد

المكي والمدني سواء في المصادر أو الأصول أو الميادين.

٣ - تقترح الدراسة قيام دراسات توضح مدى بُعد أو قرب التربية المعاصرة عن التربية في العهد المكي والمدني وما هي الحلول لمعالجة بُعد المسلمين في الوقت الحاضر عن التربية الصحيحة التي تدعوهم للنجاة من النار إلى الجنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)** ﴾ [**الصافات**].

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

١ – القرآن الكريم .

٢ – أحمد بن حنبل، الإمام .ت (٢٤١هـ)، [*(١)] فضائل الصحابة تحقيق وصي الله عباس، بيروت ـ مؤسسة الرسالة، عام ١٤٠٣ / ١٩٨٣م . من مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

٣ – أحمد بن حنبل، الإمام .ت(٢٤١هـ)،مسند الإمام أحمد، دمشق المكتب الإسلامي (د.ت) .

٤ – أحمد بن علي الإمام المعروف بابن حجر،ت(٨٥٢هـ) .الإصابة في تمييز الصحابة ، بيروت : دار الكتب العلمية(د.ت) . [*(٢)] .

٥ – أحمد بن علي، الإمام المعروف بابن حجر .ت(٨٥٢هـ)، فتح الباري ، شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرف (د.ت) .

٦ – بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الإمام، ت (٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، بيروت : دار الفكر، ١٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٧ – جلال الدين السيوطي، الإمام ، ت (٩١١هـ) . بيروت ـ دار الفكر، (د.ت) .

---

(١) * هذا العام يدل على سنة الوفاة للمؤلفين رحمهم الله تعالى .

(٢) * (د . ت) : يعني لا يوجد تاريخ للطبعة على الكتاب .

٨ – الحارث بن أسد أبو عبد الله المحاسبي الإمام ، ت (٢٤٣هـ) . الرعاية لحقوق الله ، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

٩ – سليمان بن الأشعث أبو داود الإمام ، ت (٢٧٥هـ) مسند عائشة رضي الله عنها، الكويت: مكتبة دار الأقصى، ١٤٠٥هـ.

١٠– سليمان بن الأشعث أبو داود الإمام ، ت (٢٧٥هـ) سنن أبي داود، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي،(د،ت) .

١١– عبد الملك بن هشام الإمام ، ت (٢١٨هـ) ، سيرة ابن هشام ، بيروت: دار الفكر ، ١٤٠١هـ.

١٢– عثمان بن عبد الرحمن الإمام المعروف بابن الصلاح ، ت (٦٤٢هـ) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

١٣– علي بن أحمد بن حزم الإمام ، ت (٤٥٦هـ) الأخلاق والسير في مزاولة النفوس، بيروت: دار الآفاق الجديد، ١٩٧٨م.

١٤– علي بن أحمد الواحدي الإمام ، ت (٤٦٨هـ) . أسباب النزول، بيروت : دار المعرفة ، (د.ت) .

١٥– علي بن محمد الخزاعي الإمام ،ت (٧٨٩هـ) . كتاب تخريج الدلالات السمعية ، القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠١هـ ، ١٩٨٠م .

١٦- عمر بن فهد المعروف بالنجم المؤرخ ،ت (٨٨٥هـ) إتحاف الورى باخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، القاهرة مكتبة الخانجي، (د.ت)ومن مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

١٧- مالك بن أنس الإمام ، ت (١٧٩هـ) الموطأ ، تحقيق محمد المالكي، جدة: دار الشروق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م .

١٨- محمد بن أبي بكر الإمام ابن قيم الجوزية، ت (٧٥١هـ) مدراج السالكين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ.

١٩- محمد بن إسماعيل البخاري الإمام ،ت (٢٥٦هـ) صحيح البخاري ، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ.

٢٠- محمد بن جرير الإمام الطبري، ت (٣١٠هـ) تفسير الطبري، القاهرة: المطبعة الأميرية،١٣٢٩هـ.

٢١- محمد بن عمر الرازي الإمام ، ت (٦٠٦هـ) التفسير الكبير مفتاح الغيب، طهران :دار الكتب العلمية، (د.ت).

٢٢- محمد بن عيسى الترمذي الإمام، ت (٢٧٩هـ) سنن الترمذي الجامع الصحيح، بيروت، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ.

٢٣- محمد بن يزيد القزويني الإمام ابن ماجة، ت (٢٧٣هـ) سنن ابن ماجة ـ بيروت: المكتبة العلمية (د.ت).

ثانياً : المراجع :

٢٤- جابر عبد الحميد جابر، أحمد كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٢٥- حامد سالم الحربي، الكرامة الإنسانية في التربية، دراسة ناقدة من منظور تربوي إسلامي، جامعة أم القرى، كلية التربية، رسالة دكتوراه غير منشورة عام ١٤١١هـ ، ١٤١٢هـ.

٢٦- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ، ط١,٧ ـ القاهرة: لم يذكر الناشر ، ١٩٦٤م.

٢٧- حمدي أبو الفتوح، أسلمة المناهج ، مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٤٠٦هـ.من مطبوعات المركز العالمي للتعليم الإسلامي بجامعة أم القرى.

٢٨- س. كارل ويتبرج ، البحث التربوي أصوله ومناهجه ، ترجمة محمد لبيب، محمد مرسي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤م.

٢٩- سيف الدين الكاتب، معاذ بن جبل الصحابي الجليل ، بيروت مؤسسة عز الدين،١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٣٠- عابد توفيق الهاشمي، طريق تدريس التربية الإسلامية ، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م.

٣١- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، الشخصية الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨٠م.

٣٢- عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب

الإدارية، بيروت ـ دار الكتاب العربي، (د.ت) .

٣٣- عبد الرحمن ناصر السعدي، فوائد قرآنية ، تحقيق زهير الشاويش، دمشق :المكتب الإسلامي . (د.ت) .

٣٤- عبد الوهاب عبد اللطيف، مختارات الأحاديث والحكم النبوية، القاهرة : مطبعة الحلبي، ١٣٧٨هـ .

٣٥- علي أحمد الجرجاوي، حكمة التشريع وفلسفته، بيروت : دار الفكر، (د.ت) .

٣٦- علي جريشة، دعوة الله بين التكوين والتمكين ،القاهرة : مكتبة وهبة ،١٤٠٦هـ .

٣٧- علي جريشة، نحو نظرية للتربية الإسلامية ، القاهرة ـ مكتبة وهبة، ١٤٠٦هـ .

٣٨- علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، جدة : دار الشروق ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م .

٣٩- علي الحسني الندوي، كيف توجه المعارف في الأقطار الإسلامية ، الرياض : رئاسة إدارة البحوث والإفتاء (د.ت) .

٤٠- عمر أحمد كحالة، أعلام النساء ، بيروت : مؤسسة الرسالة (د.ت) .

٤١- ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط ٢ ، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م .

٤٢- ماجد عرسان الكيلاني، التعليم ومستقبل المجتمعات الإسلامية

في التـخطيط الإِسـرائيلي، ط ٢، جـدة : الدار السـعـودية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٤٣– ماجد عرسان الكيلاني، الفكر التربوي عند ابن تيمية، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية،١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م .

٤٤– ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس، جدة: الدار السعودية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م .

٤٥– محمد حامد الأفندي نحو مناهج إِسلامية مكة المكرمة المركز العالمي للتعليم الإِسلامي بجامعة أم القرى ـ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٦– محمد حسن بريغش، ذات النطاقين ، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ.

٤٧– محمد الخضري، تاريخ التشريع الإِسلامي، بيروت: دار الفكر، ط ٧، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٤٨– محمد سعيد البوطي، فقه السيرة ، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٤٩– محمد الغزالي، فقه السيرة ، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م .

٥٠– محمد الغزالي، نظرية التربية الإِسلامية للفرد والمجتمع . بحث مقدم لندوة خبراء أسس التربية الإِسلامية المنعقد بمكة المكرمة وبجامعة أم القرى من ١١–١٦ / ٦ / ١٤٠٠هـ.

٥١ – محمد قطب، عبد الفتاح الدومي، من أعلام النساء ، سيرة

ومنهاج، مكتبة الإحسان..، لم يذكر مكان النشر ولا تاريخه.

٥٢- محمد لطفي الصباغ، أم سليم، دمشق،المكتب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

ثالثاً الدوريات:

٥٣- محمد سليم العوا، «دستور المدينة والشورى النبوية» رسالة الخليج، العدد السادس عشر السنة الخامسة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٤- فتحي مصطفي الزيات، «أثر التكرار ومستويات ومعالجة وتجهيز المعلومات على الحفظ والتذكر، دراسة تجريبية مقارنة»، رسالة الخليج، العدد الثامن عشر السنة السادسة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

٥٥- عبد الراضي محمد عبد المحسن، «نظرات في الدعوة الإسلامية»، مجلة الأمة، العدد الثاني والسبعون، السنة السادسة، شهر ذي الحجة، ١٤٠٦هـ.

هذا الكتاب

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز التربية في عهد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

كيف نشأت وتكونت التربية الإسلامية في العهد المكي؟ ثم كيف تطورت حتى حصل لها التمكين في العهد المدني؟، وما أصول وميادين التربية الإسلامية المستمدة من مصادرها الأساسية، وكيف يمكن ربطها بالواقع والمستقبل؟ وما مدى تكامل أصول التربية الإسلامية وميادينها في سلوك الفرد المسلم؟.

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

١- البيئة الاجتماعية الصالحة لها أهمية في إنجاح التربية مع الأخذ بعدم اليأس من الإصلاح في البيئة الاجتماعية غير الصالحة كما وضحت ذلك التربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- أصول التربية وميادينها كلها تندرج تحت مفهوم : معرفة العبد لربه تعالى، ومعرفته لدينه الإسلام، ومعرفته لرسوله عليه الصلاة والسلام.

٣- التدرج في التربية من الأمور المطلوبة مع مراعاة الأهم فالأهم، مع الرأفة والرحمة، والحرص على إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ومن أهم التوصيات :

توصي الدراسة بوجوب الإهتمام بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته وحياة الصحابة في العهد المكي والمدني والتمسك بهذه السيرة العطرة في الواقع ومايؤول إليه من مستقبل لأن في ذلك سعادة الدارين.

ومن أهم المقترحات :

تقترح الدراسة تدريس مادة بالمراحل الدراسية توضح التربية النبوية في العهد المكي والعهد المدني، كما تقترح قيام مؤتمرات إسلامية توضح التربية النبوية، ومدى قرب أو بعد التربية المعاصرة منها.

والله الموفق.

ردمد ٢٤٣٤ - ١٢١٩ ISSN

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة